

المنهج التاريخي في كتابي
ابن المطهر وابن داود الحلّيين
في علم الرجال
(١)

المؤلف: سامي حمود الحاج جاسم



المقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين ، نجمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من
شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهّد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن
تجد له ولياً مرشداً .

تعدّ الدراسات المتعلقة بمناهج العلماء المسلمين من الدراسات
المهمّة ، وتقع أهميّة هذه الدراسة في كونها دراسة لمنهج علمين بارزين في
علم الرجال عند الإمامية ، وهذا يعطيها الريادة في هذا المضمار ، لأنّ كتب
هذين العلمين : خلاصة الأقوال وإيضاح الاشتباه ورجال ابن داود تحوي
معلومات وفيرة عن الكثير من الرواة الذين كان لبعضهم أثر في الحياة
السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي - فضلاً عن كونهم
محدثين - ممّا يتيح لنا فرصة الإطلال على تاريخ الأئمة من خلالهم كما أنّ
معرفة هؤلاء الرجال ودراسة أحوالهم المذكورة في كتب الرجال الإمامية

يمكن أن تنفعنا في تصحيح بعض المعلومات أو الحوادث التاريخية تنفيذاً أو تعصيماً.

واعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع اللاتي كان لها العون الأكبر في إتمام هذا البحث وإخراجه ، فبعد القرآن الكريم كان لكتب الرجال الأثر الكبير في رصد الكثير من المعلومات ، ولاسيما عند الموازنة في المعلومات الواردة في الكتب المدروسة : الخلاصة والإيضاح ورجال ابن داود ، أو مراجعة موارد هذه الكتب المذكورة آنفاً ، ومن أهم هذه الكتب الرجالية : رجال النجاشي (ت ٤٥٠هـ) والفهرست للطوسي (ت ٤٦٠هـ) واختيار رجال الكشي للطوسي أيضاً والتحرير الطاووسي للشيخ حسن بن زين الدين الشهيد (ت ٥٨٨هـ) ، فضلاً عن كتب الرجال الخاصة بأهل السنة أمثال : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) ولسان الميزان وتهذيب التهذيب لابن حجر (ت ٨٥٢هـ) وأمثالها من الكتب الشبيهة .

وكان لكتب الفهارس أثر كبير في تتبع المصنفات الرجالية مثل كتاب مصنف المقال في مصنف الرجال للطهراني الذي ساعدني في رصد المؤلفات والمؤلفين في علم الرجال بشكل خاص ، واقتصر مصنف المقال على مصنف الرجال من الإمامية فقط .

كما أن هناك مصادر تاريخية اقتضت الضرورة أن أستقي منها معلوماتي ، مثل كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ت ٣٦٧هـ) ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير أبي السعادات الجزري (ت ٦٠٦هـ) ، والكمال في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) وغيرها .

المنهج التاريخي في كتابي ابن المطهر وابن داود ١٠٥

وأخذت من المعاجم اللغوية، مثل كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، وكتاب مختار الصحاح للرازي (ت ٦٦٥هـ)، وكتاب لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ) وغيرها، كما كان لقسم من البحوث المنشورة في المجلات العربية والعراقية المحكمة والدراسات الأكاديمية الأثر في توجيهي إلى المصادر الأولية.

وكان من الصعوبات التي واجهتني خلال مدة البحث ندرة المصادر الخاصة ببعض المباحث والفصول، ولاسيما في الفصل الخاص بعلم الرجال وأهميته، فضلاً عن صعوبة الحصول على الكتاب بسبب تغيير أماكن الكتب في المكتبات وعدم تصنيفها، فضلاً عن فقدان بعضها بعد ٢٠٠٣/٤/٩، فاضطرت إلى السفر خارج العراق للحصول على قسم من المصادر، وكذلك الاستعانة ببعض الأخوة في الخارج من خلال المراسلة للحصول على المصادر، فضلاً عن اللجوء إلى أصحاب المكتبات الخاصة والعامة في النجف الأشرف.

في سبيل وضع اليد ببصمات واضحة على المنهج التاريخي في كتابي علم الرجال لابن المطهر وابن داود الحلّيين، لابدّ من إيراد لمحة تاريخية عن مناهج التأليف والتصنيف عند مؤرخي الإسلام، وليقودنا هذا التمهيد إلى موضوع البحث الأساسي على وفق ما هو مبين في عنوانه، وكان متن البحث كالآتي:

أما المادة الرئيسة للبحث فقد تكوّنت من أربعة أبواب - عقد لكل باب ثلاثة فصول - مع المقدمة والتمهيد والخاتمة وقائمة المصادر والمراجع والدراسات والبحوث، وهي كالآتي:

الباب الأول وعنون بـ: علم الرجال عند الإمامية.

وجاء الفصل الأول منه لبيان ماهية علم الرجال عند الإمامية وأهميته فضلاً عن موضوعه وبداياته التاريخية وأهم التعريفات التي حصرت هذا العلم.

أما الفصل الثاني فأكد علاقة علم الرجال بالعلوم الأخرى كالتاريخ والدراية وعلم الجرح والتعديل وغيرها، ثم تطرّق إلى معالم هذا العلم (علم رجال الإمامية) ومناهجه وذلك من خلال معرفة شروط الراوي وأهم مناهج التصنيف الرجالية عن الإمامية.

وجاء الفصل الثالث ليدرس ويحلّل قسماً من الألفاظ الجارحة والمعدّلة التي استعملها الرجاليون فضلاً عن بعض التوثيقات الخاصّة والعامة التي هي من مفردات علم الرجال عند الإمامية، كما أشار هذا الفصل إلى أهميّة التوثيقات الرجالية الخاصّة بالمتقدّمين والمتأخّرين.

ثمّ الباب الثاني الموسوم بـ: (منهج ابن المطهر الحلّي في الرجال) متكوّناً من ثلاثة فصول أيضاً. فمبتدأ علوم الرجال

الأول يشير إلى منهج ابن المطهر الحلّي في كتابه الرجالي خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، واستهلّ الفصل بمقدمة عن سيرة حياة العلامة الحلّي العلمية والشخصية، ثمّ بعد ذلك تحليل منهجه في خلاصة الأقوال بعد أن ذكرنا موارده لهذا الكتاب.

وجاء الفصل الثاني ليدرس منهج العلامة الحلّي في كتابه الرجالي إيضاح الاشتباه عن أسماء الرواة، وحاولت أن اختصر في هذا الفصل، ولم آت بالأمثلة حتّى لا يتكرّر الكثير من المعلومات، فضلاً عن محاولتي اتّباع نمط الموازنة بين كتابي العلامة: خلاصة الأقوال وإيضاح الاشتباه عند محاولة تحليل منهجية الأخير، مع بيان الاختلافات الحاصلة بين الكتابين: الخلاصة والإيضاح.

المنهج التاريخي في كتابي ابن المطهر وابن داود ١٠٧

أما الفصل الثالث فقد جاء ليسلّط الضوء على بعض الأفكار والرؤى الانتقادية لتجاوزات العلامة الحلّي عن منهجه في خلاصة الأقوال .

أما الباب الثالث فعنون به: (منهج ابن داود الحلّي في الرجال) .

وجاء الفصل الأوّل منه لدراسة منهج ابن داود في رجاله ، وبعد الترجمة لابن داود وحياته العلمية وذكر مؤلفاته تمّ تحليل منهجه في رجاله من حيث خطة الكتاب والمعلومات الواردة في المتن وكيفية الإشارة إليها فضلاً عن ذكر موارده في الكتاب .

أما الفصل الثاني فسُلّط الضوء على بعض الأفكار والرؤى الانتقادية لتجاوزات ابن داود الحلّي عن منهجه الذي اختطّه وبينّه في مقدّمة كتابه الرجالي .

أما الفصل الثالث فقد جاء ليعقد موازنة بين كتاب خلاصة الأقوال ورجال ابن داود من حيث خطة التأليف في الكتابين وموارد متن الكتاب ، وقد بيّنت من خلالها مواطن الالتقاء والافتراق في المنهجين .

أما الباب الرابع فجاء لرصد التعليقات والحواشي على كتب الحلّيين الرجالية .

فعقد الفصل الأوّل حول حاشية الشهيد الثاني على خلاصة الأقوال في معرفة الرجال .

والفصل الثاني حول كتاب نضد الإيضاح لابن الفيض الكاشاني ، وهو تعليقة على كتاب إيضاح الاشتباه في أسماء الرواة .

أما الفصل الثالث فكان حول حاشية الشهيد الثاني على رجال ابن داود ، وختّم هذا الباب ببعض الآراء الرجالية عن الخلاصة ورجال ابن داود .

ثمّ بعد ذلك جاءت الخاتمة لتشتمل على قسم من الأفكار المستنتجة من خلال البحث ، ثمّ الملاحق وضمت ملحقات واحد ذكر فيه ولادات الأئمة الإثني عشر عليهم السلام ووفياتهم مضافاً إلى ذكر كنانهم ومواطن ولادتهم ووفياتهم وذلك حتّى يسهل على قارئ النصوص المقتبسة من الكتب المدروسة في البحث - وحتّى قراءة الكتب نفسها - معرفة متى عاش هذا الراوي وفي أيّ عصر كان من خلال معرفة معاصرتة لأحد الأئمة عليهم السلام ، ولاسيّما أنّ ابن المطهر وابن داود دأبا على ذكر معاصرة الأئمة عليهم السلام للكثير من الرواة .

ثمّ بعد ذلك تأتي قائمة المصادر والمراجع والبحوث والدراسات . وهنا لا يسعني إلّا أن أتقدّم بخالص الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل الدكتور محمّد مفيد راضي آل ياسين لما بذله من جدّ ومثابرة في متابعة هذا البحث منذ أن كان بذرة إلى أن استوى على سوقه بالشكل الذي هو عليه ، لم ييخل عنه بملاحظاتة ولا بأرائه القيّمة التي لولاها لما خرج هذا البحث على هذه الشاكلة ، فجزاه الله عنّي جزاء العلماء العاملين ، وأسأل الله أن يطيل في عمره خدمة للعلم والمتعلّمين .

وفي الختام أقول : إنّ هذا الجهد هو محاولة للتعريف بالجهد العلمي الذي يقوم به الرجالي بغية ضبط رجاله المترجم لهم من جميع النواحي الشخصية والعلمية والفكرية فضلاً عن الأساليب التي يتبعونها في مناهجهم ، فأرجو أن يغنى بالملاحظات السديدة التي تقوّمه من خلال رصد مواطن الوهن في البحث وتقويمها حتّى يخرج بصورة متكاملة .

وهنا لابدّ من الإشارة إلى ملاحظة مهمّة ، وهي أنّي سوف لا أعتد على منهجية الاختصار بالفاظ (المصدر السابق) و(المصدر نفسه) عند

المنهج التاريخي في كتابي ابن المطهر وابن داود ١٠٩

الإشارة إلى المظان في هوامش البحث .

وما توفيقي إلا بالله ... والله الحمد في الأولى والآخرة ، ونسأله تعالى
حسن العاقبة .



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم راسدي

التمهيد

لمحة تاريخية عن مناهج التأليف وأشكال التصنيف عند مؤرخي الإسلام

على الرغم من الغموض الذي ما زال يكتنف بدايات التدوين التاريخي عند العرب فإنه قد نال في أواخر القرن الثالث للهجرة وبدايات القرن الرابع للهجرة تطوراً في المنهج والطريقة واستمر على ذلك خلال القرون التالية ، غير أن الآراء في منهجية الكتابات التاريخية ظلت متضاربة متباينة ، فلا يستطيع الباحث تقديم صورة واضحة لهذا الموضوع بالارتكاز عليها إلا إذا استقرأ المادة بنفسه وأعاد النظر في نتائجها التي توصل إليها الباحثون^(١) .

فערرب ما قبل الإسلام كانوا بسبب معيشتهم يفضلون حفظ أئامهم وأحداثهم عن طريق الرواية الشفهية على هيئة أشعار مقصدة أو أخبار متفردة^(٢) ، فهو في الواقع شيء من الأساطير الشعبية والقصص المنقولة بالتواتر وشيء أخذ من هنا وهناك ومزج مزجاً ، فكان نواة مادة التاريخ كعلم الذي بدأ يظهر في القرن الثاني الهجري ، وعندما بدأ الشروع بالتدوين واجهته عقبة التمييز بين المادة التي يبنى عليها المؤرخ أحكامه التاريخية

(١) علم التاريخ ، دائرة المعارف الإسلامية ٢٦/٣ .

(٢) تاريخ التراث العربي ٣٩٥/١ .

والمواد التي صنعها الخيال واقتضتها الأحوال التي مرت بها تلك الأمة^(١).
ومن هذا القبيل التاريخ المأثور عن العرب قبل الإسلام، ولاسيما
التاريخ المنقول بالسمع والرواية شعراً أو نثراً لشبه الجزيرة العربية في عهد
ما قبل الإسلام، ويستثنى من ذلك من ترك منهم البداوة ونزل حواضر
الجزيرة ولاسيما أهل اليمن والحيرة، فقد نقش الأولون بالخط المسند على
مبانيهم من أخبار ملوكهم وشؤونهم العامة، ودون الآخرون بخطهم أخبار
مملكته وأودعوها أديرة الحيرة وكنائسها^(٢).

فلما ظهر الإسلام وقامت الدولة الإسلامية ومست الحاجة إلى معرفة
سيرة الرسول ﷺ واستقصاء السنة توافر رجال على جمع أخبار السيرة
وتدوينها، فكان ذلك بدء انشغال العرب بالتاريخ، ولما كان الرسول ﷺ
هو خاتم الأنبياء والمرسلين كان من الطبيعي لمعرفة تاريخ الرسالة وسيرة
الرسول ﷺ ودراسة أحوال الرسل والأنبياء الذين جاؤوا قبله ونوع
رسالتهم والأقوام الذين اتبعوا الرسالة أو رفضوها أن يتوسع مجال التاريخ،
وبذلك أصبحت هذه الدراسة مقدّمة لدراسة تاريخ الرسول ﷺ والرسالة
أو (السيرة) والذي قيل عنها: (المبتدأ) أو (المبدأ)، التي تبدأ بتاريخ
آدم عليه السلام ثم تستمر إلى أن تصل إلى السيرة التي تبتدئ بالنسب ونسب
النبي ﷺ، ثم صار يلحق بالسيرة قسم آخر يمكن أن يقال له:
(المغازي)، وقد استعمل هذا الأسلوب من قبل المؤرخين الأوائل^(٣).

وقد دلّ الربط بين السيرة والتاريخ على تطوّر مهم في الفكرة

(١) موارد تاريخ الطبري ١/١١٤.

(٢) مقدّمة ابن خلدون: ٣٧٥.

(٣) المغازي الأولى ومؤلفوها، المقدّمة.

التاريخية وفي المفهوم التاريخي، ودلّ على شعور المؤرخين بأن التاريخ الإسلامي صفحة من صفحات كثيرة مطوية تكوّن منها التاريخ العالمي، وأن هذا لا يمكن أن يبقى معزولاً عن تاريخ الشعوب الأخرى^(١).

ولقد ساعدت الدعوة الإسلامية ونشوء الدولة الإسلامية الموحدة - فضلاً عن حركات الفتح الإسلامي - على توسيع أفق الفرد العربي فكرياً وحضارياً، ورافق هذه التطورات تطوير منهج الكتابة وتوسيع هدفها وفلسفتها، فلم تبق الكتابة التاريخية الإسلامية محصورة بحدود قصص أيام العرب وأنسابهم وصولاتهم الحربية وإنما تجاوزت ذلك، وقد شهد القرن الأول الهجري ظهور عدد من المؤرخين الرواد الذين أخذوا على عاتقهم وضع حجر الأساس لكتابة تاريخية عربية على وفق مفهوم متطور للتاريخ ومستندة إلى منهج البحث التاريخي^(٢).

فكان الخبر التاريخي يستند إلى الحفاظ الموثوق بهم وهو ما يعرف بالأسانيد أو الإسناد^(٣) الذي يعني الاعتماد، وسند: أي معتمد، والإسناد في الحديث: رفعه إلى قائله^(٤)، والهدف منه - أي الإسناد - التوصل إلى حقيقة الخبر أو صحته^(٥).

فنرى أن الطريقة التي اتبعها الإخباريون كانت فرعاً من علم الحديث، إذ تأثروا بطريقة المحدثين في جمع الرواية التاريخية ونقدها،

(١) المنهجية التاريخية في العراق: ١١.

(٢) إسهامات مؤرخي البصرة في الكتابة التاريخية حتى القرن الرابع الهجري: ١٧٣.

(٣) العرب والفكر التاريخي: ٨٠.

(٤) مختار الصحاح: ٣١٦.

(٥) ضوابط الرواية عند المحدثين: ٥٧.

المنهج التاريخي في كتابي ابن المطهر وابن داود ١١٣

وهذا يدل على أن التاريخ العربي عند نشأته سلك الطريق نفسه الذي سلكه الحديث، فكان الخبر التاريخي على هذا النحو من عنصريين: رواية الخبر على التابع وهو ما يعرف بالسند أو الإسناد، ثم نص الخبر ويسمى المتن^(١).

وتجلى الانتفاع المشترك بين المحدثين والمؤرخين المسلمين الرواد في ابتكار علم الجرح والتعديل أو علم نقد الرجال، إذ تكلموا على كل راوٍ وعرضوا تاريخه وسيرته ووضعوا له قواعد محكمة، وقد اشتهر علماء مختصون في هذا الباب مثل يحيى بن سعيد القطان (ت ١٨٩هـ) ومحمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ) ويحيى بن معين (ت ٣٣٣هـ)^(٢).

وقد أفاد المؤرخون من نتائج هذا العلم الذي ساعدهم على تمكين روايتهم وتوثيقها، وهكذا ظهرت كتب الطبقات وتاريخ الرجال التي تناولت السيرة النبوية ونبدأ من سيرة الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم)، ثم تابعت انتقال رواية الحديث إلى العلماء والرواة، ومما يزيد في وضوح هذا التأثير ما نلمسه من جمع نسبة كبيرة من مؤرخي الطبقات والتراجم بين الاهتمام بالتاريخ والاهتمام بالحديث، فمعظم هؤلاء المؤرخين كانوا أيضاً محدثين^(٣).

غير أن التأثير بأسلوب المحدثين لم يستمر بسبب التفاعل الحضاري مع الأمم الأخرى من ناحية، وظهور كثير من الفرق الإسلامية واختلافها حول موضوع الخلافة والإمامة من ناحية أخرى، فقد دفعها إلى اللجوء

(١) علم الحديث ومصطلحه : ٣٢ .

(٢) ضحى الإسلام ١٢٩/٢ .

(٣) الباعث الحثيث بشرح مختصر علوم الحديث : ٨٧ - ٨٨ .

للتقد والتحليل ومحاولة كل طرف لإثبات رأيه بالحجة والبينة^(١).

ولم يلبث المؤرخ المسلم أن تحرر تدريجياً من طريقة الإسناد التي كانت تلزم المؤرخ بأن يكون مجرد إخباري أي ناقل للخبر إلى الكتابة المرسله التي تعنى بالخبر في ذاته ومناقشته ، وبينما كان الطبري (ت ٣١٠هـ) في كتابه تاريخ الرسل والملوك ومن سبقه من الإخباريين يعنون عناية خاصّة بالإسناد وتسلسل الرواة فقد ظهر فريق آخر من المؤرخين المسلمين ابتعدوا في كتاباتهم عن طريق الإسناد واكتفوا بإيراد الأخبار غير المسندة إلى أصحابها^(٢).

وبذلك تميّز المؤرخون المسلمون بالضبط في تسجيل الحوادث وصحّة الأخبار التي أوردوها ولاسيما الأحداث الإسلامية ، وقد جاءتهم هذه الصحّة من الطريقة التي عالجوا بها هذه الأخبار واعتمادهم على مبدأ النقد وعدم أخذهم إلا عن العيول الثقات وفي تقدّمهم لسلسلة الرواة وتطبيق مبدأ الجرح والتعديل عليهم ، كما كان هناك عناية بالموضوعات التاريخية^(٣).

وسلك المؤرخ العربي منهجين امتازا بالدقّة والحذر في تدوين الأحداث هما : المنهج الأفقي (المنهج الموضوعي) ، والمنهج العمودي (المنهج الحولي).

١ - المنهج الموضوعي :

إن كلمة منهج تعني الطريق أو السلك المستقيم الواضح كما ورد في

(١) بحث في نشأة علم التاريخ عند المسلمين : ١٨ ، موارد تاريخ الطبري : ١٥٧ .

(٢) علم التاريخ عند العرب : ١٦٢ .

(٣) علم التاريخ عند المسلمين : ٩٥ - ٩٦ ، أصول الحديث التاريخي : ٦٩ ، فجر الإسلام : ٧٨ .

المعاجم اللغوية^(١)، فالمنهج: الطريق الواضح، وكذلك المنهج والمناهج كما في قوله تعالى: ﴿لِكَلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(٢). والمعروف عند المعنيين بالتاريخ أن الكتابة التاريخية حسب الموضوعات هي طريقة كتابة التاريخ إما للدول أو عهود الخلفاء والحكام وإما للتراجم أو للأنساب أو للتاريخ المحلي وغير ذلك، وأن العوامل التي أدت إليه متصلة بالتطورات الثقافية من جهة، والتيارات والاتجاهات العامة في المجتمع الإسلامي من جهة ثانية^(٣).

وكانت أولى صور المنهج الموضوعي في كتابات المؤرخين العراقيين هو تاريخ الدول، ومن الذين ألفوا فيه الحسن بن ميمون بن نصر البصري (من رجال القرن الثاني الهجري) وله من الكتب كتاب الدولة^(٤)، وكذلك عوانة بن الحكم (ت ١٤٧هـ) في كتابه تاريخ الدولة الأموية^(٥)، ومن الذين كتبوا في تاريخ الدول واليهود ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) في كتابه تاريخ الخلفاء الراشدين ودولة بني أمية المعروف بكتاب الإمامة والسياسة^(٦)، وهو منسوب إليه. أما الأنساب والتراجم فيعد ضرباً آخر من ضروب التاريخ عني به مؤرخو الإسلام، ولما قام الخليفة عمر بن الخطاب بتأسيس الديوان أعطى هذا العمل للأنساب أهمية جديدة، وجاءت

(١) الصحاح ٦١٤/٢ مادة (منهج)، لسان العرب ٣٨٣/٢، القاموس المحيط والقبابوس البسيط ٣٠٩/١.

(٢) سورة المائدة ٥ : ٤٨.

(٣) بحث في نشأة علم التاريخ : ٥٩.

(٤) الفهرست لابن النديم : ١٠٨.

(٥) الفهرست لابن النديم : ١١٣.

(٦) وفيات الأعيان ٣ / ٤٢.

المعلومات عن الأنساب في الشعر وفي تراجم رواة الحديث وفي الروايات القبلية في سجلات دواوين الجند^(١).

أما بدايات التاريخ للمدن والأقاليم فقد ارتبطت بالجغرافية والفتوح ولذا فهي ترجع إلى صدر الإسلام، وهذا الضرب من الكتابة هو تعبير صادق عن ارتباط المؤرخ بوطنه واعتزازه به^(٢)، ومن المؤلفات الرائدة في هذا النوع كتاب وصف البصرة الذي ألفه زياد بن أبيه (ت ٥٣هـ)^(٣).

وقد عبّر ابن خلدون عن هذا الاتجاه بقوله: «وهناك من عدل عن الإطلاق إلى التقييد ووقف العموم والإحاطة عن المنشأ والبعيد، فقيّد شوارد عصره واستوعب أخبار أقطابه وقطره على تاريخ دولته ومصره»^(٤).

أما التاريخ المحلي الديني فقد اتّبع فيه منهجاً خاصاً يتضمن عرض مقدّمة طوبوغرافية يتلوها تعداد للشخصيات التي ولدت أو عاشت أو كان لها اتصال ما بذلك المكان المؤرخ له، وكانت هذه الشخصيات في البداية مقصورة على علماء الدين ثمّ صارت تشمل جميع العلماء والأدباء ورجال الدولة^(٥)، وأقدم ما وصل إلينا من هذا النوع هو تاريخ واسط لبحتل الواسطي (ت ٢٨٠ أو ٢٩٢هـ)^(٦).

أما عن التاريخ المحلي الديني فأقدم ما ألف فيه تاريخ الموصل

(١) تاريخ التراث العربي ١ / ٤٠٦، المنهجية التاريخية في العراق: ١٩٤.

(٢) المنهجية التاريخية في العراق: ٤١ - ٩٢.

(٣) معجم البلدان ١ / ٩٠٥.

(٤) مقدّمة ابن خلدون: ٥.

(٥) التاريخ والجغرافية في الحضارة الإسلامية: ٨٤.

(٦) لسان الميزان ١٢/٣٨٨.

للمعافى بن عمران بن نفيل الموصلية (ت ١١٨٤هـ)^(١)، وتاريخ بغداد لأحمد بن يحيى طاهر بن طيفور (ت ١٢٨٨هـ) الذي يعدّ من أقدم ما كتب عن تاريخ هذه المدينة، وهو يتناول تاريخ الخلفاء العباسيين وأيامهم^(٢).

ومن مزايا هذا المنهج الرجوع بالأحداث إلى مسيرتها الواسعة التي تكون داخل الإطار الأفقي للتاريخ، وكذلك جعلها متصلة من دون تقطّع زمني، وجمع الحادثة في موضوع واحد، وهي بهذا تكون متناسقة يأخذ بعضها برقاب بعض، وذكر تاريخ الدول من أوائلها إلى أواخرها، والمأخذ عليه هو اختصار مؤلفي التاريخ على طريقة الموضوعات للإسناد مقتصرين على إشارة موجزة للمصدر ممّا يجعل بعض الحوادث والأخبار التي لم يعاصرها المؤرّخ محطّ شكّ لعدم إسنادها^(٣).

٢ - المنهج الحولي :

لغويّاً الحول يعني السنة كما ورد في المعاجم العربية^(٤)، وقال تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾^(٥).

ويكون منهج التاريخ الحولي شكلاً تخصصياً من علم التاريخ لسنين وهو كما يدلّ اسمه يخضع لتعاقب السنين المفردة، فكانت الحوادث المختلفة تعدّد كلّ سنة بعناوين مثل (في سنة كذا...) أو (ثمّ جاء في سنة كذا...)، أمّا الصلة بين الحوادث المتعدّدة التي تحدث في السنة نفسها

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٩٣/٤، التاريخ والمؤرّخون العرب ٨٩/١.

(٢) تاريخ بغداد أو مدينة السلام ٥ / ٣٤٥.

(٣) المنهجية التاريخية في العراق : ٤٦ - ٤٧.

(٤) الصحاح ٣٠٨/١٥، لسان العرب ١٨٤/١١، القاموس المحيط ٣٦٣/٣.

(٥) سورة البقرة ٢ : ٢٣٣.

فكانت في الغالب تبين بطريقة سهلة ، وهي إضافة جملة (وفي السنة نفسها) ، وغالباً ما تختتم السنة بذكر بعض التراجم والوفيات ، فإذا انتهت حوادث السنة الواحدة انتقل المؤرخ إلى حوادث السنة التالية فيستعمل جملة (ثم دخلت سنة كذا...) ^(١) .

ومن المحتمل أن يكون العلماء المسلمون الذين ربما تعرّفوا استعمال المعلومات التاريخية منذ إدخال التقويم الهجري قد توصّلوا بصورة مستقلة إلى الاستنتاج بأن صورة التاريخ على السنين هي الوسيلة الملائمة للعرض التاريخي ^(٢) .

أمّا موسى بن عقبة (ت ١٤١هـ) فقد دوّن أسماء المهاجرين إلى الحبشة وأسماء المشتركين في بيعتي العقبة ، وكان يعرض مادته التاريخية على وفق السنين ، وهو منهج كان قد استخدم عند عدد من أسلافه منهم عبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت ٣٥٥هـ) ^(٣) .

وتأسيساً على ما تقدّم فإنّ الكتابة التاريخية على المنهج الحولي كانت معروفة في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، وفيه ظهرت أوّل الكتب المنشورة والمعروفة من هذا النوع ^(٤) .

ومن المآخذ على هذه الطريقة أنّها تشبّت الخبر أو الحادث الذي يستغرق وقائعه أكثر من سنة ، وبذلك تتجزأ الرواية ، وهو ما يفقد الخبر

(١) علم التاريخ عند المسلمين : ١٠٢ .

(٢) علم التاريخ عند المسلمين : ١٠٥ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١/ ٧٢ .

(٤) الفهرست لابن النديم : ١١٢ .

أهميته ووحده لتعرف أسبابه ونتائجه^(١)، إلا أن مزايا هذا المنهج تجعل من مؤرخيه أول الأعلام التي جاءت وأبدعت في توقيت هذه الحوادث باليوم والشهر والسنة، مع تنوع تأليفهم، إذ تشجّع المؤرخين على السرد والرواية، ويتركز الفكر في إطار محدّد يجعله أكثر التصاقاً بسير الأحداث، ويساعد القارئ على استيعاب أسرع بالنسبة للزمان والمكان اللذين هما موضع اهتمامه، كما يفيد بوجه خاص في ميدان التراجم الذي يربط الواقع بالتاريخ الأدبي والفكري ولا يمكن والحالة هذه أن نجرده من القيمة والأهمية^(٢).

وقد تميّزت كتاباتهم - أعني مؤرخي الإسلام - بالوضوح وسلامة العبارة وصحتها، إذ كانت الروايات الأولى للإخباريين فيها علو العبارة وارتفاع مستواها ممّا يؤكّد أصالة اللغة العربية في نفوس هؤلاء^(٣)، وهناك من مؤرخي الإسلام من تجنّب في كتاباته الزخرفة اللفظية والألفاظ الدارجة^(٤)، إلا أنّه في العصور المتأخّرة غزت الكتابة التاريخية ألفاظ أعجمية وعامية شاعت في كتابات المؤرخين^(٥).

أشكال التصنيف التاريخي عند مؤرخي الإسلام :

إنّ تعدّد العوامل والحاجات التي أوجدت علم التاريخ هو الذي يفسّر

(١) معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري : ٣٧٥ .

(٢) التاريخ والمؤرخون في العراق : ١٨٤ .

(٣) علم التاريخ عند العرب : ١٣٩ - ١٤٠ .

(٤) محاضرات في تاريخ العرب ٢٤٣/١ - ٢٤٤ .

(٥) التاريخ والمؤرخون العرب : ٨٩ .

تنوع الكتابات التاريخية وسعتها وقد تناولت كافة أنواع التدوين التاريخي وفروعها كافة، فهناك كتب عامة وكتب في السيرة والأخبار وكتب الخلفاء والفتوح والفرق والبلدان . إلخ .

ولم يعرف العرب التاريخ بمعناه الذي تبلور في نهاية القرن الثالث الهجري ، بل عرفوا فنوناً تاريخية سبقتها وأصبحت مادته الرئيسة ، ومن أهم هذه الفنون أيام العرب والقصص التاريخية التي كان لها أثر واضح قبل الإسلام ، وكانت مصدراً خصباً من مصادر التاريخ بما حوته من الوقائع والأحداث ، فتكون بذلك مرآة لأحوال العرب وعاداتهم وأسلوب الحياة الدائرة بينهم ونشأتهم في الحرب والسلام^(١) ، كما هي مرآة صادقة تظهر من فضائلهم وشيمهم^(٢) ؛ وبذلك تنوعت صنوف الكتابة التاريخية وتوسعت ، فقد دوّنت أخبار ما قبل الإسلام وذلك لما حوته هذه الموضوعات من أخبار تتعلق بخلق الكون (السموات والأرض) وبدء الخليقة وما حدث من أخبار الأنبياء ﷺ وصولاً إلى نبينا محمد ﷺ^(٣) .

وللاطلاع على أشهر من ألف في هذا النوع من الكتابة التاريخية يمكن الرجوع إلى المظان المعنية بها^(٤) .

(١) الأغاني ٣٩/٥ .

(٢) الأغاني ٦٩/٥ ، أيام العرب في الجاهلية . المقدمة ، وينظر : مصادر التاريخ الإسلامي : ١٢ .

(٣) التاريخ العربي والمؤرخون ٥٣/١ .

(٤) ينظر : المعارف : ٣٠٢ ، فهرست لابن النديم : ٥٨ ، ٩٥ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، رجال النجاشي : ٣٤ - ٣٧ ، ١٣٤ - ١٣٥ ، ٤٣٤ - ٤٣٥ ، فهرست الشيخ الطوسي : ٩٣ ، معالم العلماء : ٢٨ - ٢٩ ، تاريخ بغداد ٥٠/١٤ ، وفيات الأعيان ١٤٣/٥ و ٨٢/٦ ، إلخ .

ومن أصناف الكتابة التاريخية عند المسلمين الأنساب، وتأتي أهمية هذا النوع من أهمية النسب عند العرب بسبب الطبيعة القبلية للمجتمع في شبه الجزيرة العربية إذ كان يمثل ميراثهم التاريخي، وبعد الإسلام استمر الاهتمام بالأنساب وذلك لصيانة الحقوق المشروعة والمواريث^(١)... وللإطلاع على بدايات التأليف به يمكن مراجعة الكتب التي تعنى بهذه المواضيع^(٢).

أما الصنف الآخر فهو الذي يتناول الأحداث التي محورها حياة النبي ﷺ أو ما اصطلاح عليه بالسيرة والمغازي^(٣)، التي ظهر بعضها على لسان القصاص في مسجد المدينة^(٤)، ولقد سميت هذه الدراسات الأولى عن حياة الرسول ﷺ باسم السير والمغازي^(٥) التي يمكن الإطلاع عليها في المصادر المعنية بها^(٦).

معجم الأدباء: ١ / ٣ - ٩، طبقات المفسرين: ١ / ٣٧، الأعلام: ٢ / ٢١٥، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: ١ / ٣٢٣.

(١) بلوغ الأرب في فنون الأدب ٢ / ٤٧٦.

(٢) ينظر: المعارف: ٢٩٨ - ٢٩٩، الفهرست لابن النديم: ١٠٢، ١٠٦، ١٠٨،

١٢١؛ رجال النجاشي: ٤٣٥ - ٤٣٦، وفيات الأعيان: ٨٣ / ٩، معجم الأدباء ٧٨ / ١٢

و ٢٨٧ / ١٩، هدية العارفين ١ / ٣٤٤، تاريخ التراث العربي ٢ / ٥٣.

(٣) تاريخ الرسل والملوك ٢ / ٤٧٣.

(٤) المغازي ٩ / ١ و ١٢٥ / ١، الإصابة ٣ / ١.

(٥) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١ / ١٥٠.

(٦) ينظر: الطبقات الكبرى ٥ / ٢٥٢، المعارف: ٩٩، ٢٧٥، ٥٠٦، الفهرست لابن

النديم: ٩٩، ١٠٣، ١٠٩، ١١٢، ١٤٤، رجال النجاشي: ٣٠، ٤٣٥ - ٤٣٦،

الفهرست للطوسي: ١٨، تاريخ بغداد ١٢ / ٣٠، وفيات الأعيان ٨٣ / ٦،

تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ٤ / ١٣٠، تهذيب التهذيب ٥ / ٦٧،

كما صَنَّف المؤرِّخون في الفتوح الإسلامية والحروب الداخلية لأهمِّية الأولى ورصد أسباب الثانية، ولمن يرغب في الاطلاع عليها الرجوع إلى مواردها الأصلية^(١).

ونتيجة لتوسُّع رقعة الإسلام واستقرار الفتوح الإسلامية وعمليات التفاعل العلمي والثقافي وغيرها من التحوُّلات ظهر اتجاه الكتابة بالتاريخ العام^(٢)، وتميَّز هذا الفنُّ بأنَّ مادَّته أكثر ترابطاً وانسجاماً وتماسكاً من غيرها، فضلاً عن وجود ظاهرة الاستمرار التي تعدُّ جوهر التاريخ، وظهرت المؤلفات في التاريخ العام منذ القرن الثاني للهجرة^(٣)، وهناك جمهرة من المؤرِّخين الذين عنوا بالتاريخ العام ليس هنا مجال الحديث عنهم^(٤).

❦ الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التاريخ، طبع مع كتاب روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين: ٥٢٧، بغية الوعاة في طبقات النحويِّين واللغويِّين والنحاة: ١٧٧، معجم الأدباء ٢٩٢/١٩ و ٣٠٩/١٩ و ٢٤/١٧، هدية العارفين ٨٠٤/١ و ٥٠٨/٢، الأعلام ٢٧٢/٥، أبان بن عثمان ودوره في بدايات كتابة السيرة النبوية، بحث منشور في مجلَّة المؤرِّخ العربي، العدد ٥٧ لسنة ١٩٩٨م، ص: ١٦٨ - ١٦٩، التدوين التاريخي ومدارسه حتَّى القرن الخامس الهجري، بحث منشور في مجلَّة المستقبل العربي، العدد ١١، السنة الثالثة، ٢٠٠٥، ص: ١٤٢ - ١٦٥.

(١) ينظر: الطبقات الكبرى ٢٤٦/٦، المعارف: ٥٩، ٩٩، ٢٧٥؛ وينظر: فتوح البلدان، الفهرست لابن النديم: ١٠٩، رجال النجاشي: ٤٣٥ - ٤٣٦، تاريخ بغداد ٢٢٧/١٢ و ٢٥٢/١٣، وفيات الأعيان ٢٠٣/٣ و ٢٣٥/٥ - ٢٤٣، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ١٥٥/٤، تذكرة الحفاظ، ٣٧/١٠، تهذيب التهذيب ٣٩٥/٤، معجم الأدباء ١٥٤/١٩، هدية العارفين ٤١٢/١، الأعلام للزركلي ٢٢٠/٣؛ فهد محمَّد بدري، المدائني شيخ الإخباريِّين: ٤١ - ٤٤؛ إسهامات مؤرِّخي البصرة: ١٤٦.

(٢) إسهامات مؤرِّخي البصرة: ١٩٨.

(٣) تاريخ التراث العربي ١٢١/٢.

(٤) ينظر: الأخبار الطوال: ٧٤، مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣٤/٥، الفهرست لابن

أسهمت الفتوح الإسلامية في نشوء الأمصار - مثل : البصرة والكوفة والفسطاط والموصل - واستقرار العرب في هذه الأمصار وانتمائهم إلى هذه المدن مما أدى إلى تطوّر الكتابة التاريخية الإسلامية من خلال التأليف في التاريخ المحلي المرتبط بهذه المدن، حتّى قيل بأنّ التاريخ الإسلامي خلال القرن الأوّل الهجري كان تاريخ مدن أو الأمصار الإسلامية الأولى كالبصرة والكوفة لما تميّزت به من أثر مركزي في الجوانب السياسية والعسكرية والإدارية^(١)، ويمكن للراغب الرجوع إلى المصادر التي تبين أهمّ ما أُلّف في التاريخ المحلي^(٢).

ونتيجة لما يتمتع به الخلفاء والأمراء من مكانة في نفوس المسلمين لما لهم من أهميّة في إدارة الدولة والأمور العامة فقد صنّفت العديد من المؤلفات المعنية بالميادين السياسية والإدارية والاقتصادية المرتبطة بالخلفاء والأمراء، وللإطلاع على مصنّفات المؤرّخين هذه يمكن الرجوع إلى المظانّ المعنية بها والموضّحة لها^(٣).

جلا النديم : ١١٢، ١٢٧ - ١٥٢، ١٤٣، ١٦٤، الفهرست للطوسي : ١٢١، تاريخ بغداد ٥٥/٢، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب ٢٥/١ - ٢٦، إسهامات مؤرّخي البصرة : ٢١٣ - ٢٢٠، ١٧٩، بحث في نشأة علم التاريخ : ٣٩، المدائني شيخ الإخباريين : ٦٥، ١٨٩، موارد تاريخ الطبري : ١٥٩، ١٦٩، ١٧٧.

(١) إسهامات مؤرّخي البصرة : ٢٣٣.

(٢) ينظر : البيان والتبيين ٦١/١، تاريخ خليفة ٣٢/١، صورة الأرض : ٦١٤، الفهرست لابن النديم : ٥٩، ١١٢، ١١٥، ١٢٥، الكامل في التاريخ ٢٦٢/٧، وفيات الأعيان ٤٤٠/٣ و ١٠٦/٦، معجم الأدباء ٤٨/٦ و ٤٤٠/١.

(٣) ينظر : الطبقات الكبرى ٢٧١/٥، المعارف : ٢٨٠، ٢٩٩، الفهرست لابن النديم : ٢١، ١٥٣، ١٦٣، ١١٧، ٨٦، ٢٥٦، ٢٥٧، ١١٢، تاريخ بغداد ٥٥/١٢، وفيات

وأيضاً صَنَّف المسلمون في الطبقات والتراجم، إذ أوجدت الحضارة الإسلامية فناً فريداً من فنون التاريخ وهو كتب الطبقات والتراجم لا نجد له شبيهاً في آداب الأمم، فقد نتجت هذه الكتب من أصول إسلامية خالصة تمثلت بالسير والمغازي ونمو علم الحديث وطول الأسانيد وظهور حركة الوضع في الحديث، فضلاً عن علم الأنساب الذي ساعد مؤرخي الطبقات والتراجم في الوقوف على العلاقات النسبية التي تربط أبناء الطبقة بعضها ببعض من جهة، ثم التي تربطها بالطبقات التي قبلها أو بعدها لغرض تمييز كل منها من جهة ثانية^(١).

وقد استخدم المؤرخون المسلمون منذ مطلع القرن الثالث للهجرة تسمية (الطبقات) في كتبهم، وقد جاء في أحد معاجم اللغة: «كان فلان من الدنيا على طبقات شتى، أي: حالات»^(٢)، ويأتي مفهوم الطبقة بالفاظ، منها: الجيل، الأمة، الجماعة. قال النحاة: «الجيل كل صنف من الناس»^(٣). وقال ابن منظور: «كل جيل من الناس هم أمة على حدة»^(٤). وفي قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾^(٥)، التي تعني حالاً بعد

﴿الأنبياء ٣/٤٤٠، ٦/٣٧٨، معجم الأدباء: ٣/٧٠٣ و ١٦/٦٠ و ٦/٥٩٥، هدية العارفين ١/٤١٣، الأعلام للزركلي ٣/٢٢٠، التاريخ العربي والمؤرخون ١/١٦٢؛ المدائني شيخ المؤرخين: ٣٥ - ٣٦، ٤٧، ٥١.

(١) التراجم والسير: ٢٨، إسهامات مؤرخي البصرة: ٤٤ - ٤٥.

(٢) لسان العرب ١٠/٢١١.

(٣) كتاب العين ٦/١٧٩، لسان العرب ١١/١٣٤.

(٤) لسان العرب ١٢/٢٦.

(٥) سورة الإنشقاق ٨٤ : ١٩.

حال^(١)، ومن هذه المعاني تسمية كتبهم التي يظهر منها أنهم يعنون بالطبقة فيها: الجيل بعد الجيل، أما من ناحية التحديد الزمني لطول الطبقة فيطلق اللغويون على الطبقة مجازاً القرن من الزمان، وقد قدر بعشرين سنة^(٢).
أما لفظ التراجم فإنها دخيلة معربة وإنها قديمة الأصل، إذ وردت في المدونات المسمارية في اللغة الأكديّة (تركمانوا)، والآرامية (تركمين)، والعبرانية (تركوم)^(٣)، أما تاريخ دخول هذه اللفظة واستعمالها في كتب التراجم فيرجع إلى القرن السابع الهجري^(٤)، ونجد أن مؤرّخي التراجم في القرن الثالث الهجري قد استخدموا تسمية التاريخ في كتبهم، وأوّل من استخدمها البخاري^(٥)، إذ سمّى أحد مؤلفاته بالتاريخ الكبير، وآخر بالتاريخ الصغير.

أما أقدم من صنّف في الطبقات فهو الهيثم بن عدي، ذكر له كتابا الطبقات وتسمية الفقهاء والمحدّثين^(٦).
وقد تطوّر أسلوب الطبقات والتراجم فيما بعد، وأسهم في إنضاجه مجموعة من المؤرّخين، منهم على سبيل المثال: عبد الله بن جبلة بن أبجر الكناني الكوفي (ت ٢١٩هـ) في كتابه الرجال، والحسن بن عليّ بن فضال التميمي الكوفي (ت ٢٢٤هـ) في كتابه الرجال^(٧)، وكذلك عليّ بن عبد الله

-
- (١) تفسير القرآن العظيم ١٥٣/٩.
 - (٢) تاج العروس من جواهر القاموس ٤١٤/٦.
 - (٣) من تراثنا اللغوي ما يسمّى في العربية الدخيل: ١٩٢.
 - (٤) دراسات في كتب التراجم والسير: ٧٠.
 - (٥) علوم الحديث ومصطلحه: ١١٠.
 - (٦) الفهرست لابن النديم: ١١٢، معجم الأدباء ٣٠٩/١٩.
 - (٧) ينظر: رجال النجاشي: ٣٤ - ٣٦، فهرست الشيخ الطوسي: ٩٣، الإعلان بالتويع: ٥١٩.

المديني البصري (ت ٢٣٤هـ) في كتابه **الطبقات**^(١)، وأبو أيوب سليمان بن داود البصري في كتابه **تاريخ طبقات أهل العلم**^(٢)، ومحمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣٣هـ) في كتابه **طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الإسلاميين**^(٣).

أما أهم من أُلّف في هذا الصنف من الكتابة التاريخية فمجموعة من المؤرخين وفي طليعتهم محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ)^(٤) الذي اشتهر بكتابه **الطبقات الكبرى** وتناول فيه طبقات الصحابة والتابعين إلى وقته، وله كتاب آخر هو **كتاب التاريخ**^(٥).

وأهم ما تميّزت به **طبقات ابن سعد** سمة الريادة، وأنها تتمتع بمكانة علمية بالغة في دراسة التاريخ الإسلامي وتراجم الصحابة والتابعين، وإن تقسيمهم جاء على وفق مبدأ الأسبقية في الإسلام ومبدأ القرابة من الرسول ﷺ، وتتجلى أهمية **كتاب الطبقات** ومكانته العلمية من خلال اعتماد كتاب الطبقات وتراجم الرجال والمؤرخين القدامى عليها، إذ اعتمد عليها ابن قتيبة في كتابه **المعارف**، والبلاذري في **أنسابه**، والطبري في **تاريخه**، والخطيب البغدادي في **تاريخ بغداد**، وغيرهم كثير^(٦).

أما خليفة بن خياط الذي كان معاصراً لابن سعد وله من الكتب

(١) الفهرست لابن النديم : ٢٨٦ .

(٢) الفهرست لابن النديم : ١٢٦ .

(٣) الفهرست لابن النديم : ١٦٥ ، الوافي بالوفيات ١١٤/٣ .

(٤) الوافي بالوفيات ٨٨/٣ .

(٥) تذكرة الحفاظ ٤٢٥/١ .

(٦) إسهامات مؤرخي البصرة : ٦٠ .

الطبقات والتاريخ وطبقات القراء^(١) وتوفي سنة (٢٤٠هـ) - أي بعد عشر سنوات فقط من وفاة ابن سعد - فإن طبقاته تعدّ من الكتب التاريخية الرائدة، وقد اعتمد على مصادر من محدّثين ونسابة ومؤرّخين كبار منهم محمد بن عمر الواقدي وهشام الكلبي ومحمد بن إسحق^(٢)، وقد اتّبع تصنيف الأشخاص المترجم لهم من الرجال والنساء على أساس النسب أو القبيلة، وكانت معلوماته قصيرة ومختصرة، وبصورة عامّة كانت طبقاته تحتوي على قوائم بأسماء من أسهم من المسلمين في المعارك التي خاضوها ومن استشهد منهم وأسماء الإداريين من ولاية وقضاة وغير ذلك^(٣)، وقد اعتمد عليه البخاري في كتابه التاريخ الكبير والأصفهاني في حلية الأولياء وابن عساكر في التاريخ الكبير وغيرهم، وبذلك تكون طبقاته مرجعاً في حقل ترجمة الرجال والنساء^(٤).

مركز تحقيقات كميّات علوم إسلاميّة

(١) الفهرست لابن النديم : ٣٢٤ .

(٢) إسهامات مؤرّخي البصرة : ٦٣ .

(٣) طبقات خليفة بن خيّاط : ١٧٧ .

(٤) التاريخ العربي والمؤرّخون ٢٣٥/١ .

الباب الأول علم الرجال عند الإمامية

الفصل الأول تعريف علم الرجال

وردت عدّة تعريفات لعلم الرجال إلا أنّها كانت مجملة من حيث الفكرة، ولا يوجد اختلاف واضح بين من عرف هذا العلم، وعليه سوف نأتي بقسم من هذه التعريفات.

عرّفه الشيخ الطهراني بأنّه: «علم يبحث عن أحوال رواة الحديث وأوصافهم التي لها دخل في جواز قبول قولهم وعدمه»^(١). وقال آخر: «علم يبحث فيه عن أحوال الراوي من حيث اتّصافه بشرائط قبول الخبر وعدمه»^(٢). وعرّفه المشكيني بقوله: «ما يبحث فيه من أحوال الراوي من حيث اتّصافه بشرائط قبول الخبر وعدمه»^(٣). وهناك من عرّفه بقوله: «علم يبحث فيه أحوال الرواة من حيث اتّصافهم بشرائط قبول أخبارهم، وهو علم يبحث فيه عن أحوال رواة الحديث التي لها دخل في جواز قولهم

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٨٠/١٠.

(٢) منتهى المقال في أحوال الرجال ٣٣/١.

(٣) وجيزة علم الرجال: ١٨.

وعدمه»^(١). وربما يعرف بأنه «علم وضع لتشخيص رواة الحديث ذاتاً ووصفاً ومدحاً وقدحاً، والمراد من تشخيص الراوي ذاتاً هو معرفة ذات الشخص وكونه فلان بن فلان، كما أن المراد من التشخيص الوصفي هو معرفة أوصافه من الوثاقة ونحوها»^(٢). وهناك من يقول بأنه: «علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الرواة من حيث تشخيص ذواتهم وتبين أوصافهم التي هي شرط قبول روايتهم أو رفضها»^(٣). وعرف أيضاً بقولهم: «إنه علم يبحث عن أحوال الرواة مما له دخل في اعتبار رواياتهم من الوثاقة والضعف»^(٤). وهناك من عرفه بأنه: «فرع من فروع علم الحديث نشأ دونما شك لمعرفة أحوال رواة الحديث»^(٥).

ومن الملاحظ أن هذه التعريفات تلتقي في موضوع واحد هو دراسة أحوال الرواة، ومن جانبيين هما:

- ١ - تشخيص هوية الراوي وتعيينها باسمه ونسبه وما إلى ذلك.
- ٢ - معرفة نعتة وصفته التي لها علاقة ومدخلة بقبول روايته أو رفضها من حيث كونه عدلاً أو غير عدل، ثقة أو غير ثقة، ممدوحاً أو مقدوحاً، موثقاً أو مفسقاً، مضعفاً أو مهملاً أو مجهولاً^(٦).

يوضح علم الرجال المثل العليا الأخلاقية للعلماء المسلمين، وهي

(١) كليات علم الرجال : ١١ .

(٢) أصول علم الرجال : ١١ .

(٣) منتهى المقال في الدراية والرجال : ١٣٣ .

(٤) بحوث في مباني علم الرجال ، محاضرات الأستاذ الشيخ محمد سند : ١٠ .

(٥) مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين : ٣ ، وينظر : معجم مصطلحات الرجال والدراية : ١٠٥ .

(٦) أصول علم الرجال : ١١ ، منتهى المقال في الدراية والرجال : ١٣٣ .

مثل دقيقة وشاملة، وأسهمت دقته في تمكين هذه المثل العليا عند المسلمين بوصفها الوسيلة الرئيسة لتقدير الناس لهم ولاحتلالهم مكانتهم في العالم...، وأسهمت كتب الرجال في نمو بعض جوانب النقد التاريخي وفي وصوله مستوى عال من الرقي والدقة^(١).

موضوع علم الرجال :

هناك أقوال كثيرة في بيان موضوع علم الرجال إلا أنها جميعاً تصب في مجرى واحد، فهناك من يرى أن موضوع علم الرجال عبارة عن رواية الحديث الواقعين في طريقه، وبما أن كل علم يبحث فيه عن عوارض موضوع معين وحالاته الطارئة عليه ففي المقام يبحث عن أحوال الرواة من حيث علاقتها في اعتبار قولهم أو عدمه، أما حالاتهم الأخرى التي ليست لها دخل في قبول قولهم فهي خارجة عن هذا العلم، فالبحث عن انصاف الراوي ككونه تاجراً أو شاعراً أو غير ذلك من الأحوال التي لا دخل لها في قبول حديثهم خارج عن هذا العلم^(٢).

وهناك من قال: إن موضوع علم الرجال هو الراوي للحديث^(٣). وقال آخر: إن المراد من الموضوع هنا هو رواية الحديث، لأن محور البحث حول أحوالهم والعوارض الطارئة عليهم ممّا له مدخلية في قبول خبرهم وعدمه^(٤). وهناك من تكلم عن موضوع علم الرجال بقوله: «هذا العلم

(١) الرواية والأسانيد وأثرها في تطوّر الحركة الفكرية في صدر الإسلام ٢٧/١.

(٢) كليات في علم الرجال: ١٢.

(٣) الوجيز في علم الرجال: ١٧.

(٤) منتهى المقال في الدراية والرجال: ١٣٣.

يعطينا القواعد العامة التي في ضوئها نستطيع أن نشخص ونعيّن هوية الراوي باسمه ونسبه ونسبته وأن يعرف حاله من حيث الوثاقة والأوثاقة لنقرّ - بعد هذا - أنه ممّن تقبل روايته أو هو ممّن ترفض روايته»^(١).

وقواعد استخدام هذا العلم تكون في مجالين: الأول عصر الراوي، لمعرفة الراوي ومعرفة أحواله من حيث الرواية أو عدمها عن طريقين هما مشاهدته واختبار حاله، ويمكن أن تسمّى (المعرفة الواقعية)، وشهادة من يعرفه مباشرة ممّن هم بمستوى الشهادة من العدالة أو الثقة ويمكن أن تسمّى (المعرفة الظاهرية)، والآخر: بعد عصر الراوي، وذلك عن طريق الرجوع إلى كتب الرجال وملاحظة تقويم أصحابها للراوي، ولا مجال هنا لمعرفة الراوي معرفة واقعية أو معرفة ظاهرية^(٢).

كما أنّ الاهتمام بالإسناد أدّى إلى نموّ علم الرجال الذي يدرس أسماء الرواة من الرجال والنساء وسنّي ولادتهم ووفياتهم^(٣).

أهمية علم الرجال:

تكمن أهمية علم الرجال بأنه يستهدف التوصل إلى الحكم الشرعي الذي هو من أجلّ الغايات وأعظمها، فهو يشكل مع علمي الفقه والأصول الركيزة الأساسية التي يمكن من خلالها التوصل إلى الحكم الشرعي^(٤).

وأهمية بحوث علم الرجال لا تقلّ عن أهمية البحوث الأصولية

(١) أصول علم الرجال : ١٢ .

(٢) أصول علم الرجال : ١٢ .

(٣) الرواية والأسانيد وأثرها في تطوير الحركة الفكرية في صدر الإسلام : ٢٦ .

(٤) منتهى المقال في الدراية والرجال : ١٣٣ .

لتوقف الاستنباط عليها كما يتوقف على غيرها ، وذلك لأنَّ جُلَّ الأحكام التي بين أيدينا وصلت عبر الروايات المسندة بأسانيد غير مقطوعة الصَّحَّة والاعتبار ويحتاج تنقيح الصحيح منها إلى نظر دقيق وعناية فائقة لمعرفة صَّحَّة الطريق إلى الرواية ليصبح إسنادها إلى المعصوم جائزاً والعمل بمقتضاها مقبولاً^(١) .

وبما أنَّ الرواة هم الوسائط البشرية التي تبلغ التشريعات الإلهية إلينا فمنهم نأخذها ونتقيّد بها فلا بدَّ إذن من إحراز أمانتهم في إبلاغها حتَّى نكون على ثقة ممَّا أوصلوه إلينا حقّاً ، ويحصل لنا الاطمئنان بأنَّ ما أبلغوه هو حكم الله ، وقد تأسَّس علم الرجال على هذا الأساس المهم والضروري ، وهو منشأ اهتمام علماء الشريعة بهذا العلم لأهمّية ما يترتب عليه من أهداف وخطورة ما يبنى عليه من النتيجة^(٢) . قال العلامة الحلي : «فإنَّ العلم بحال الرواة من أسس الأحكام الشرعية وعليه تبنى القواعد السمعية ، ويجب على كلّ مجتهد معرفته وعلمه ولا يسوغ له تركه وجهله ، إذ أكثر الأخبار عن الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام فلا بدَّ من معرفة الطريق إليهم»^(٣) .

بدايات علم الرجال :

لقد اختلفت الآراء بل شطَّت أحياناً في بيان بدايات علم الرجال

(١) بحوث في فقه الرجال : ٤١ .

(٢) المنهج الرجالي والعمل الرائد في الموسوعة الرجالية لسيد الطائفة الإمام البروجدي : ٥٨ .

(٣) خلاصة الأقوال في معرفة الرجال : ٤٤ ، ينظر : رجال ابن داود : ٢٥ .

والتصنيف فيه ، فمنهم من رأى أن مبتدأ هذا العلم - أي علم الرجال - هو من قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١) .

فهو دعوة لتمييز النبأ والخبر بين كون الناقل له فاسقاً أو عادلاً^(٢) . وقد أكد هذه الدعوة رسول الله ﷺ بقوله : «أيها الناس قد كثرت عليّ الكذابة فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(٣) .

ثم جاء قول الإمام عليّ عليه السلام مشيراً إلى بدايات هذا العلم ومنبتها عليّ أهميته «... عن سليم بن قيس الهلالي قال : قلت لأمير المؤمنين عليه السلام : إني سمعت من المقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله غير ما في أيدي الناس ، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله ﷺ أنتم تخالفونهم فيها وتزعمون أن ذلك كله باطل ، أفترى الناس يكذبون عليّ الرسول متعمدين ويفسرون القرآن بأرائهم ... قال : فأقبل عليّ فقال : قد سألت فافهم الجواب : إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً ، وقد كذب عليّ رسول الله ﷺ على عهده حتى قام خطيباً فقال : (أيها الناس قد كثرت عليّ الكذابة فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) ثم كذب عليه من بعده ، وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس : رجل منافق يظهر الإيمان متصنع الإسلام لا يتأثم ولا

(١) سورة الحجرات ٤٩ : ٦ .

(٢) بحوث في مباني علم الرجال : ٧ ، علم الرجال وأهميته : ٢ .

(٣) أصول الكافي ١/٦٢ .

يتحرج أن يكذب على رسول الله ﷺ متعمداً. ورجل سمع من رسول الله ﷺ شيئاً لم يحمله على وجهه وهم فيه ولم يتعمد كذباً، فهو في يده ويقول به ويرويه فيقول: أنا سمعته من رسول الله ﷺ، فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه، ولو علم أنه وهم لرفضه. ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه. وآخر رابع لم يكذب على رسول الله ﷺ مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسوله ﷺ، لم ينسه بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص، وعلم الناسخ والمنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ، فإن أمر النبي ﷺ مثل القرآن ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومحكم ومتشابه ^(١)، علم ^(٢) ردي

إن هذا هو الأساس في التقويم للرواة ودراسة أحوالهم وضع العلماء أمام مسؤولياتهم الشرعية في رواية الحديث ونقله... فكان المنطلق في تحري أحوال الرواة ^(٣).

وهناك من ذهب إلى أن أول من صنف في علم الرجال هو أبو محمد عبد الله بن جبلة بن حيان بن ابجر الكتاني ^(٣) المتوفى سنة (٢١٩هـ) وله كتاب الرجال ^(٤) - ونفى هذا سبق عن شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠هـ) - أو

(١) أصول الكافي ١/ ٦٢ - ٦٣.

(٢) منتهى المقال ١٠/ ١٢ - ١١.

(٣) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٣٣.

(٤) رجال النجاشي: ٢١٦.

المنهج التاريخي في كتابي ابن المطهر وابن داود ١٣٥

محمد بن سعد كاتب الواقدي (٢٣٠هـ) الذي ألف طبقاته في نهاية عمره كما يظهر من ترجمته^(١).

وهناك من يقول: إن أول من صنّف في الإسلام في الرجال هو عبد الله بن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين عليه السلام وقد شهد حروبه، وكتب كتاباً في تراجم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين شهدوا حروب أمير المؤمنين عليه السلام: الجمل وصفين والنهروان^(٢)، وألف كتابه سنة ٤٠هـ^(٣)، ثم جاء بعده ابن جبلة الكناني (٢١٩هـ)^(٤) وابن محبوب (٢٢٤هـ)^(٥) وابن فضال (ت ٢٢٤هـ)^(٦).

وكان شعبة بن الحجاج يروي عن أجلاح بن عبد الله الكندي (ت ١٤٥هـ) وعن لوط بن يحيى الأزدي أبي مخنف (ت ١٥٨هـ) وهما من الشيعة وقد سبقاه في التأليف فضلاً عن سبق عبيد بن أبي رافع لشعبة بن الحجاج زمنياً، إذ كان قبله بمائة عام^(٧)، مع العلم أن وفاة شعبة بن الحجاج سنة ١٦٠هـ^(٨) وليس ٢٦٠هـ كما ذكر السيد حسن^(٩) الصدر، ولعل ذلك من الأخطاء المطبعية. وقد ذكر بعض المتأخرين أن الشيخ الطوسي

(١) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٣٣.

(٢) نقد الرجال ٦/١ - ٧، مصفّى المقال: ٤٩ - ٥٠، القواعد الرجالية ٣١٧/٢ -

٣١٨، تاريخ علم الرجال: ١٥، رجال الشيعة في أسانيد السنة: ١٣.

(٣) الذريعة ٨٤/١٠.

(٤) تاريخ علم الرجال: ٢٢.

(٥) بحوث في فقه الرجال: ٢٤.

(٦) نقد الرجال ٦/١ - ٧.

(٧) تاريخ علم الرجال: ٧.

(٨) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢٩٤/١٢ - ٢٩٥.

(٩) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٣٣.

أول كاتب في الرجال عند الإمامية^(١)، وهذا وهم كبير بناء على ما تقدّم أعلاه.

وأرى من المفيد إيراد أهم وأشهر التصنيفات الرجالية ومصنّفاتها للمدرسة الإمامية من القرن الثالث حتّى منتصف القرن التاسع الهجري.

مصنّفو الرجال ومصنّفاتهم في المدرسة الإمامية :

١ - مصنّفو القرن الثالث الهجري :

- ابن جبلة الكناني (٢١٩هـ)^(٢).

- الحسن بن محبوب (ت ٢٢٤هـ)، له كتاب المشيخة وكتاب معرفة رواة الأخبار^(٣).

- أبو محمّد الحسن بن عليّ بن فضال الكوفي (ت ٢٢٤هـ)، عدّ النجاشي من جملة مصنّفاته كتاب الرجال^(٤).

- الفضل بن شاذان الأزدي النيسابوري (ت ٢٥٤هـ)^(٥).

- أبو جعفر محمّد بن خالد البرقي الكوفي (ت ٢٧٤ أو ٢٨٠هـ)، له

(١) الإمام الصادق حياته وعصره: ٣٦٢.

(٢) تاريخ علم رجال الحديث: ٢٢.

(٣) مصنّف المقال: ١٢٨ - ١٢٩، تاريخ علم الرجال: ٢٦ - ٢٧، فقه الرجال: ٢٥.

(٤) رجال النجاشي: ٢٥٧ - ٢٥٨، مصنّف المقال: ١٢٧ - ١٢٨، فقه الرجال: ٢٥، تاريخ علم الرجال: ٢٢ - ٢٣، وهو أحد مصادر العلامة الحلّي في خلاصته، ورجال ابن داود.

(٥) خلاصة الأقوال: ٢٢٩، رجال ابن داود، مصنّف المقال: ٣٦٠، كان أحد مصادر العلامة في الخلاصة، وابن داود في رجاله.

المنهج التاريخي في كتابي ابن المطهر وابن داود ١٣٧

كتاب الرجال وكتاب الطبقات^(١) .

- أبو محمد جعفر بن بشير البجلي الوشاء (ت ٢٨٠هـ) ، له كتاب المشيخة ، وهو مثل كتاب الحسن بن محبوب لكنه أصغر منه^(٢) .

- الشريف أحمد بن علي العلوي العقيقي (ت ٢٨٠هـ) ، له كتاب تاريخ الرجال^(٣) .

- علي بن الحكم النخعي الأنباري (من رجال القرن الثالث الهجري) ، له كتاب رجال الشيعة^(٤) .

ولم يصل إلينا شيء من هذه الكتب إلا ما ذكره الشيخ الطهراني من وجود كتاب الطبقات للبرقي حتى عصرنا هذا ، وقد طبع بعنوان رجال البرقي^(٥) .

٢ - وأشهر من أُلّف في الرجال في القرن الرابع الهجري :

- الكشي أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز (٣٦٨هـ) وعنوان

(١) خلاصة الأقوال : ٦٣ ، رجال ابن داود : ٣٤ ، مستهق المقال ٢٤/١ ، مصفى المقال : ٥٩ ، كليات علم الرجال : ٧١ ، القواعد الرجالية ٣٢٢/٢ ، أحد مصادر العلامة في خلاصته وابن داود في رجاله .

(٢) رجال النجاشي : ١١٧ ، أصول علم الرجال : ٣١ .

(٣) رجال النجاشي : ٨١ ، خلاصة الأقوال : ٣٦٥ ، رجال ابن داود : ٢٨٠ ، تاريخ علم الرجال : ٤٢ ، أصول علم الرجال : ٣١ .

(٤) رجال النجاشي : ٢٤٧ ، مصفى المقال : ٢٧٨ ، أصول علم الرجال : ٣١ ، تاريخ علم الرجال : ٣١ . ومن المصنفات الرجالية لمدرسة الجمهور في القرن الثالث الهجري نذكر على سبيل المثال لا الحصر : محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ) له كتاب الضعفاء ، ينظر : تذكرة الحفاظ ٩٢٠/٣٠ ، والبخاري له التاريخ الكبير ، ينظر : طبقات الحفاظ ٢٥٣/١ ، ومسلم له كتاب الأسماء والكنى ، ينظر : تذكرة الحفاظ ٥٩٠/٢ ، ينظر : مظاهر تأثير الحديث : ٣٤ .

(٥) الذريعة ١٤٥/١٥ .

كتابه معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين، ويشتمل على رواية من الإمامية وأهل السنة^(١).

- ابن عقدة أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني الزيدي (ت ٣٣٣هـ)، له أكثر من كتاب في الرجال، منها: كتاب التاريخ ذكر فيه رواية الحديث من الشيعة وأهل السنة، وكتاب من روى عن أمير المؤمنين عليه السلام، وكتاب من روى عن الحسن عليه السلام، وكتاب من روى عن الحسين عليه السلام، وكتاب من روى عن فاطمة عليها السلام من ولدها، وكتاب من روى عن زيد الشهيد، وكتاب من روى عن الباقر، وكتاب الرجال وهو كتاب من روى عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام، وكتاب تسمية من شهد حروب علي من الصحابة، وكتاب الشيعة من أصحاب الحديث^(٢).

- الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، له في الرجال كتاب المصابيح، وبوبه كالآتي:

- المصباح الأول فيمن روى عن النبي صلى الله عليه وآله من الرجال.
- المصباح الثاني فيمن روى عن النبي صلى الله عليه وآله من النساء.
- المصباح الثالث فيمن روى عن أمير المؤمنين عليه السلام من الرجال.
- المصباح الرابع فيمن روى عن فاطمة الزهراء عليها السلام من الرجال.
- المصباح الخامس فيمن روى عن الحسن بن علي عليه السلام من

(١) خلاصة الأقوال : ٢٤٧، رجال ابن داود : ١٨٠، وصول الأخيار إلى أصول الأخبار : ١٦٢، متتهى المقال ٢٠/١، الفوائد الرجالية ٨٣/١، من مصادر العلامة الحلبي وابن داود في الرجال.

(٢) خلاصة الأقوال : ٣٢١، رجال ابن داود : ٢٢٩، مصفى المقال : ١٩ - ٢١، من مصادر العلامة وابن داود في الرجال.

المنهج التاريخي في كتابي ابن المطهر وابن داود ١٣٩

الرجال .

- المصباح السادس فيمن روى عن الحسين بن علي عليه السلام من

الرجال .

- المصباح السابع فيمن روى عن علي بن الحسين عليه السلام من الرجال .

- المصباح الثامن فيمن روى عن محمد بن علي الباقر عليه السلام من

الرجال .

- المصباح التاسع فيمن روى عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام من

الرجال .

- المصباح العاشر فيمن روى عن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام من

الرجال .

- المصباح الحادي عشر فيمن روى عن الإمام علي بن موسى

الرضا عليه السلام من الرجال .

- المصباح الثاني عشر فيمن روى عن الإمام محمد بن علي

الجواد عليه السلام من الرجال .

- المصباح الثالث عشر فيمن روى عن الإمام علي بن محمد

الهادي عليه السلام من الرجال .

- المصباح الرابع عشر فيمن روى عن الإمام الحسن بن علي

العسكري عليه السلام من الرجال .

- المصباح الخامس عشر في أسماء الرجال الذين خرجت إليهم

توقيعات .

وله كتاب الرجال^(١)، ولعله هو كتاب المصاييح^(٢).

٣ - أما أشهر من أُلّف في الرجال في القرن الخامس الهجري فهم:

- ابن الغضائري أبو الحسن أحمد بن الحسين بن عبيد الله (من رجال القرن الخامس)، له في الرجال: فهرست المصنفات وهو في ذكر أسماء الكتب التي ألّفها الرواة في عصور الأئمة ^{عليهم السلام}، وفهرست الأصول وهو في ذكر أسماء الكتب المعروفة بالأصول الأربعمئة^(٣).

- ابن عبدون أبو عبد الله بن عبد الواحد بن أحمد البزاز المعروف بابن الحاشر وابن عبدون (ت ٤٢٣هـ)، له كتاب الفهرست^(٤)، وقد اعتمد عليه النجاشي والطوسي في كتبهم الرجالية.

- النجاشي أبو العباس أحمد بن عليّ النجاشي الكوفي البغدادي (ت ٤٥٠هـ)، له كتاب فهرس أسماء مصنفي الشيعة المعروف بعنوان رجال

(١) خلاصة الأقوال : ٢٤٨ ، رجال ابن داود : ١٧٩ ، تاريخ علم الرجال : ٨٢ - ٨٥ . من مصادر العلامة الحلّي ، وابن داود في الرجال .

(٢) أحوال علم الرجال : ٣٦ ، وعد كتاباً مستقلاً عن المصاييح ، ينظر : تاريخ علم الرجال : ٨٣ . ومن أشهر مؤلفات مدرسة الجمهور الرجالية في القرن الرابع الهجري على سبيل المثال لا الحصر : ابن البغوي له معجم الصحابة ، ينظر : تذكرة الحفاظ ٧٣٨/٢ ؛ وأبو جعفر العقيلي له كتاب الضعفاء الكبير ، ينظر : تذكرة الحفاظ ٨٣٣/٣ ، وابن حبان له كتاب الضعفاء ، ينظر : تذكرة الحفاظ ٩٢١/٣ ، وأبو أحمد الحاكم له كتاب الكنى ، ينظر : تذكرة الحفاظ ٩٧٦/٣ ، مظاهر تأثير علم الحديث : ٣١ - ٣٢ .

(٣) وصول الخيار : ١٦٢ ، أصول علم الرجال : ٣٧ ، كليات علم الرجال : ٧٧ - ٨٠ ، القواعد الرجالية ٣٣٢/٢ ، من مصادر العلامة الحلّي وابن داود في الرجال .

(٤) خلاصة الأقوال : ٧١ - ٧٢ ، رجال ابن داود : ٣٩ ، من مصادر العلامة الحلّي وابن داود في الرجال .

المنهج التاريخي في كتابي ابن المطهر وابن داود ١٤١

النجاشي^(١).

- الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، له في الرجال: الفهرست، والرجال، الأبواب، ويعرف بـ: رجال الطوسي، واختيار معرفة الرجال^(٢)، وهو تهذيب واختصار رجال الكشي.

٤ - وأشهر من أُلّف في الرجال في القرن السادس الهجري:

- منتجب الدين علي بن موفق الدين عبيد الله بن بابويه القمي (ت بعد سنة ٥٨٥هـ)، له كتاب الفهرست^(٣)، وهو تتمّة لفهرست الشيخ الطوسي.

- ابن شهر آشوب رشيد الدين محمد بن علي السروي الشهير بابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، له في الرجال كتاب معالم العلماء، أُلّفه ليكمل فهرست الشيخ الطوسي^(٤).

- ابن البطريق شمس الدين أبو الحسن يحيى بن الحسين الأسدي

(١) خلاصة الأقوال: ٧٢، رجال ابن داود: ٤٠، وصول الأخيار: ١٦٣، مستهَيّ الأقوال ٢٠/١٠ - ٢١.

(٢) خلاصة الأقوال: ٢٤٩، رجال ابن داود: ١٦٩، وصول الأخيار: ١٦٢، مستهَيّ المقال ٢١/١، المنهج الرجالي: ٥٨. ومن أشهر مؤلفات مدرسة الجمهور الرجالية في القرن الخامس الهجري عليّ سبيل المثال لا الحصر هي: ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) له كتاب المحلّي، ينظر: تذكرة الحفاظ ١١٤٧/٣، وأبو يوسف بن عبد البرّ (ت ٤٦٣هـ) له كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ينظر: تذكرة الحفاظ ١١٢٩/٣، وابن مأكولا (ت ٤٧٥هـ) له كتاب الإكمال، ينظر: تذكرة الحفاظ ١٢٠١/٣.

(٣) مستهَيّ المقال ٢٦/١، أصول علم الرجال: ٤١، كليات علم الرجال: ١١٠.

(٤) مصنف المقال: ٤١٤ - ٤١٥، كليات علم الرجال: ١١٣، ومن مصادر العلامة الحليّ وابن داود في الرجال.

الحلّي المعروف بابن البطريق (ت ٦٠٠هـ)، له في الرجال كتاب رجال الشيعة، وهو من مصادر ابن حجر في لسان الميزان والسيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة^(١).

٥ - وأشهر من أُلّف في الرجال في القرن السابع الهجري :

- ابن طاووس جمال الدين أبو الفضائل أحمد بن موسى بن طاووس الحسني الحلّي (ت ٦٧٣هـ)، له كتاب حلّ الإشكال في معرفة الرجال، جمع فيه أسماء الرجال المذكورين في كتب الشيخ الطوسي الرجالية ورجال النجاشي وضعفاء ابن الغضائري ورجال البرقي ومعالم العلماء لابن شهر آشوب^(٢).

٦٠ - واشتهر في القرن الثامن الهجري كلّ من متزاملي الدرس والتأليف متعاصري الزمان والمكان متوافقي الإسم واللقب : الشيخ حسن بن داود الحلّي والشيخ حسين بن يوسف الحلّي، وسوف نتكلّم على كتبهما في

(١) مصنف المقال : ٥٠١ - ٥٠٢. ومن أشهر مصنفات مدرسة الجمهور الرجالية في القرن السادس الهجري على سبيل المثال لا الحصر هي : الشتريني (ت ٥٢٢هـ) له كتاب المناهج في رجال مسلم، ينظر : تذكرة الحفاظ ١٢٧١/٤. والسمعاني (ت ٥٦٢هـ) له كتاب الأنساب، ينظر : طبقات الحفاظ ٤٧٣/١، وابن عساكر (ت ٥٧١هـ) له تاريخ دمشق، ينظر : طبقات الحفاظ ٤٧٥/١، وابن بشكوال الأندلسي (ت ٥٧٨هـ) له كتاب الصلة ١٣٤٣/٤، وعبد الغني المقدسي (ت ٦٠٠هـ) له كتاب الكمال، ينظر : تذكرة الحفاظ ١٣٧٢/٤.

(٢) مصنف المقال : ٧١ - ٧٢، وهو من شيوخ الحلّيين العلامة وابن داود. ومن أشهر مصنفات مدرسة الجمهور الرجالية في القرن السابع على سبيل المثال لا الحصر هي : ابن نقطة (ت ٦٢٩هـ) له كتاب التقييد، ينظر : تذكرة الحفاظ ١٤١٣/٤، وابن الأنير (ت ٦٤٣هـ) له أسد الغابة في معرفة الصحابة، ينظر : تذكرة الحفاظ ١٣٩٩/٤.

الرجال بشيء من التفصيل في فصول مستقلة لاحقة^(١).



(١) ما وصل من تصنيفات العلامة هو (خلاصة الأقوال في معرفة الرجال) وكتاب (إيضاح الاشتباه في أسماء الرواة) وفقد كتابه الكبير في الرجال (كشف المقال في معرفة الرجال)، أما ابن داود فله كتاب الرجال المعروف برجال ابن داود. ومن أشهر مصنفات مدرسة الجمهور الرجالية في القرن الثامن الهجري على سبيل المثال لا الحصر: المزني (٥٧٤٢) له كتاب تهذيب الكمال، ينظر: تذكرة الحفاظ ١٤٩٨/٤، والذهبي (ت ٥٧٤٨) له تاريخ الإسلام، سير أعلام النبلاء، الميزان... إلخ، ينظر: طبقات الحفاظ ٥٢٢/١، ومغلطاي (ت ٥٧٦١) جمع أوهام التهذيب وأوهام الأطراف وذيل على التهذيب، ينظر: طبقات الحفاظ ٥٣٨/١. أما القرن التاسع الهجري فقد كانت مؤلفات ابن حجر العسقلاني الرجالية القمة السامقة لما وصلت إليه من إثراء في المفردة الرجالية وعناية وتتنع ووفرة في التأليف، ومن هذه المؤلفات الرجالية لابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، تقريب التهذيب، تهذيب التهذيب، لسان الميزان،... إلخ، ينظر: طبقات الحفاظ ٥٥٣/١.

الفصل الثاني

علاقة علم الرجال بالعلوم الأخرى

بما أن بدايات الكتابة التاريخية كانت قد تأثرت بالخطوات المقتنة السابقة لها والمتمثلة بمنهج المحدثين في تتبع الرواة والرواية فقد حصل هناك تلاقح بين هذه المنهجية ومنهجية العلوم اللاحقة لها، ومن هذه العلوم علم التاريخ، ولاسيما أن أغلب أوائل المؤرخين هم من المحدثين وكانوا قد أخذوا الطريقة نفسها - في التعامل مع الحديث - في نقد الروايات وتمحيصها، وكذلك علم الرجال وعلم الدراية وغيرهما من العلوم الأخرى، وعليه سوف نستعرض قسماً من هذه العلاقات بين علم الرجال والعلوم الأخرى.

الفرق بين علم الرجال وعلم التراجم :

علم التراجم يعدّ أخاً لعلم الرجال لقربهما بعضهما من بعض لقوة الارتباط بينهما، فإنّ علم الرجال يبحث فيه عن أحوال رجال وقعوا في سند الحديث من حيث الوثاقة وغيرها، أمّا التراجم فهو يبحث عن أحوال الشخصيات من العلماء وغيرها سواء أكانوا رواة أم غيرهم، وبذلك يظهر الفرق الواضح بين العلمين .

إلا أنه ربّما يجتمع العلمان إذا كان الراوي عالماً في الوقت نفسه

كالكليني والصدوق، ولكن حيثية البحث فيهما مختلفة، فالعلمان يتحدان موضوعاً ولكن الموضوع في كل واحد يختلف بالحيثية، فالشخص بما هو راوٍ وواقع في سند الحديث موضع لعلم الرجال، وبما أن له أثراً في حقل العلم والاجتماع والأدب والسياسية والفن والصناعة وتأثيره في الأحداث والوقائع فهو موضوع لعلم التراجم^(١).

وبهذا فإن التراجم العامة تؤكد سيرة المترجم له، أما كتب التراجم الرجالية فإنها تؤكد بيان حال المترجم له من حيث الوثاقة واللاوثاقة. هذا من حيث منهج التأليف، أما مادة الكتاب فالفرق بينهما هو أن كتب الرجال تترجم للرواة فقط، أما كتب التراجم العامة فتكون للرواة وغيرهم^(٢).

يقول ابن تغري بردي: «... وضعته على الحروف وتواليها لتقرب ثمرات جناه من يد جانيها، كما سبقني إلى ذلك جماعة من المتقدمين وإلى الآن من أرباب الحديث وطبقات الفقهاء والأعيان»^(٣).

وقال ابن بشكوال أيضاً: «... وكنت قد قيدت كثيراً من أخبارهم وآثارهم وسيرهم وبلدانهم وأنسابهم ومواليدهم ووفياتهم وعمّن أخذوا من العلماء ومن روى عنهم من أعلام الرواة وكبار الفقهاء»^(٤).

الفرق بين علم الرجال وعلم الدراية :

إن علم الرجال يبحث عن رواة الأخبار ذاتاً وصفة وتوفرهم على

(١) كليات علم الرجال : ١٣ و ١٥ .

(٢) أصول علم الرجال : ٦٨ .

(٣) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ٣/١ .

(٤) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وأدبائهم ٧/١ .

شروط القبول ، وهذا خلاف علم الدراية الذي يبحث في أحوال الحديث متناً وسنداً وكيفية تحمّله وآدابه ، أي البحث في مجموع السند^(١) .

إن علمي الرجال والحديث (الدراية) مكملان لبعضهما وهما مقدّمة لإثبات صحّة الرواية وعدمها ، لكنهما ليسا علماً واحداً ، إذ يفترقان من حيث إن علم الرجال يبحث عن الراوي في توثيقه أو تجريجه وإثبات طرقه الخاصّة والعامة لذلك ، بخلاف علم الحديث (الدراية) فإنّه يبحث عن الحديث وأقسامه - سواء أكانت أقسامه من ناحية رواته أم من ناحية متنه - لكن من ناحية مجموع رواته لا من ناحية كلّ راوٍ على حدة^(٢) .

ولعلّه من المهمّ الإشارة إلى أنّ عنوان (علم رجال الحديث) كثيراً ما يطلق على ألسنة العلماء وكتاباتهم على مادّة (رجال الحديث) ، وهذا يعود إلى الجمع في البحث والتأليف في السابق بين العلم والرجال وعدم استقلال العلم عن الرجال ، وقد ألفت في عصرنا هذا مؤلّفات مستقلّة في علم الرجال ، ولا بدّ من أن نفرّق بينهما فنطلق عنوان (علم الرجال) على القواعد العامّة والضوابط الكلّية ، ونطلق عنوان (أسماء الرواة) على تقييم الرواة من توثيق وتحسين وسواها تلكم القيم المذكورة في كتب الرجال إزاء كلّ راوٍ والمراد بالأسماء أسماء الرواة ، ولعلّ استخدام الأسماء في العنوان لأنّ البحث في الرواة يبدأ بتشخيص الراوي والتشخيص يبدأ بالاسم .

وعليه فعندما نقول : هذا العلم يبحث فيه عن معرفة أحوال الرواة فإنّ

(١) بحوث في مباني علم الرجال : ١٠ ، وينظر معجم مصطلحات الرجال والدراية :

(٢) الرعاية لحال البداية في علم الدراية : ١٥ ، منتهى المقال ٣٣/١ ، منتهى المقال في الدراية والرجال : ١٣ ، كليات علم الرجال : ١٦ ، دروس في علم الدراية : ١٣ .

هذا القول يشمل الإثنين مع التسامح بإطلاق عنوان العلم على مادة أسماء الرجال ، فنحتاج إلى ما يميّز بينهما ، ويمكن ذلك من خلال إضافة كلمة (أصول) أو (قواعد) في تعريف علم الرجال (أسماء الرجال) ، إذ إنّ القواعد تعني العلم^(١) .

فنعول في تعريفه : إنّه العلم الذي يبحث فيه عن قواعد معرفة أحوال الرواة من حيث تشخيص ذواتهم وتبيين أوصافهم التي هي شروط في قبول روايتهم أو رفضها^(٢) .

ونسوق مثلاً لبيان الفرق بين علم الرجال وعلم أسماء الرجال .
المثال : قال العلامة الحلي : «إبراهيم بن هاشم أبو إسحاق القمي ، أصله من الكوفة وانتقل إلى قم ، وأصحابنا يقولون : إنّه أول من نشر حديث القميين بقم ، وذكروا أنّه لقي الرضا عليه السلام ، وهو تلميذ يونس بن عبد الرحمن من أصحاب الرضا عليه السلام ، ولم أقف لأحد من أصحابنا على قول في القدح فيه ولا على تعديله بالتنصيص ، والروايات عنه كثيرة ، والأرجح قبول قوله»^(٣) .

والنصّ يحتوي على تعريف للراوي المذكور ، وبهذا فإنّ مادة الكتب الرجالية تحتوي على اسم الراوي ونسبه ونسبته وتقييمه من الرجاليين .
في حين مادة علم الرجال تحتوي على الأصول العامة والقواعد الكلية التي تطبّق من قبل الباحث أو الفقيه على الجزئيات الموجودة في كتب الرجال التي هي تعريف الراوي وتقييم حاله من أجل أن نعرف أنّه ثقة أو

(١) أصول علم الرجال : ٩ - ١١ .

(٢) أصول علم الرجال : ١١ .

(٣) خلاصة الأقوال : ٤٩ .

غير ثقة .

فمن القضايا التي تبحث في هذا العلم وتساق مثلاً هنا قضية بيان نوعية تقييم الرجالي لحال الراوي هل هو من نوع الشهادة فيؤخذ بها أو أنها نتيجة اجتهاد من الرجالي فيتحمل هو مسؤوليته وعلينا نحن أن نجتهد كما اجتهد^(١)؟

فالفرق بينهما إذن هو أن علم الرجال يزودنا بالقواعد الكلية لنقوم بتطبيقها على جزئياتها ومواردها مما هو مدون في كتب الرجال تعريفاً للراوي وتقييماً لحاله ، فمثلاً إذا تحقق وثبت لنا نتيجة البحث والدراسة أن قول الرجالي في تعريف الراوي وتقييم حاله هو من نوع الشهادة فنستطيع أن نؤلف منه قاعدة كلية كالتالي : قول الرجالي إذا كان ثقة ثبتاً ضابطاً في حق الراوي هو شهادة يركن إليها ويعتمد عليها ، ثم نطبقها على مواردنا في الكتب الرجالية .

وقد تمثلت مادة علم الرجال فيما يعرف بـ : (الفوائد الرجالية) و(الكليات الرجالية) ، وتمثلت مادة أسماء الرجال فيما يعرف بـ (كتب الرجال) التي هي بمثابة معاجم تشتمل على تعريف الراوي وتقييم حاله^(٢) .

علم الرجال وعلم التاريخ :

يجب على المؤرخ الإسلامي والمعني بالحديث الشريف الرجوع إلى علم الرجال في القضايا التاريخية والحوادث المؤلمة والمسرة ، فإن يد

(١) أصول علم الرجال : ١٨ .

(٢) أصول علم الرجال ١٨ - ١٩ .

الوضع قد لعبت تحت الستار في مجال التاريخ والمناقب أكثر منها في مجال الروايات الفقهية ، ومن حسن الحظ إنَّ قسماً من التواريخ المؤلفة في العصر الأول مسندة لا مرسله كطبقات ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) وتاريخ الطبري (ت ٣١٠هـ)^(١) .

إنَّ مرجع علم الرجال لعلم التاريخ ، وتقوية علم التاريخ لعلم الرجال ، فالتعارض الذي يحصل في كلام مصنفي الرجال هو تعارض بين من كان خالياً من علم التاريخ ومن كان حاوياً له .

وإنَّ علم الرجال يستمدُّ من علم الأنساب والآثار والقبائل والأمصار ، وهذا ما عرف به النجاشي ودلَّ على تصنيفه فيه وإطلاعه عليه كما يظهر من استطراده في ذكر الرجل بذكر أولاده وإخوته وأجداده وبيان أحوالهم وتنازعهم حتَّى كأنَّه واحد منهم^(٢) . وأسهمت كتب الرجال في نموِّ بعض جوانب النقد التاريخي وفي وصوله مستوًى عالياً من الرقي والدقة^(٣) .

كما أنَّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين علم الرجال والتاريخ حتَّى يمكن القول : إنَّ علم الرجال مقتطع من علم التاريخ وله وثيق الصلة في كيفية البحث التاريخي^(٤) .

على أنَّ حاجة التاريخ إلى معرفة أحوال ناقلي الوقائع التاريخية أشد من حاجة الحديث إلى ذلك ، فإنَّ الكذب والتساهل في التاريخ أكثر ، بل إنَّ معرفة أحوال ناقلي الوثائق التاريخية هي من أهم أنواع التاريخ ، والعلوم

(١) كليات علم الرجال : ٤٩٠ .

(٢) الرسائل الرجالية ٣١٨/٢ .

(٣) الرواية والأسانيد : ٢٧ ، وينظر : التاريخ فكرة ومنهجاً : ٣٩ - ٤٠ .

(٤) بحوث في مباني علم الرجال : ١٧١ .

الدينية التاريخية أولى العلوم بالحفظ ، لأنه إذا ضاع شيء فلا يمكن تداركه بعد ختم النبوة^(١) .

وظهرت آراء وقواعد تدلّ على ترابط العُلمين - أي التاريخ والرجال - من أهمّها اهتمام ابن خلدون بمتن الرواية ، إذ يقول : «ولا يرجع إلى تعديل الرواة حتّى يعلم أنّ ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع ، وأمّا إذا كان مستحيلاً فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح»^(٢) .

علم الرجال وعلم الجرح والتعديل :

من خلال القراءة في موضوع علم الرجال لم أجد من ميّز بينه وبين علم الجرح والتعديل ، وكأنّ هذا الأخير - علم الجرح والتعديل - قد ذاب في علم الرجال . وقد أفرد الحاكم^(٣) والشيخ صبحي الصالح^(٤) لعلم الجرح والتعديل عنواناً مستقلاًّ حتّى عُدَّ أسطر ، وكأنّ كلاهما أيضاً لا يميّز بين علم الجرح والتعديل وعلم الرواة . ولعلّ هذا يعود إلى أنّ جرح الرواة

(١) أهمية علم الرجال : ١٧٧ .

(٢) المقدمة لابن خلدون : ٣٧ .

(٣) معرفة علوم الحديث : ٥٢ - ٥٥ .

(٤) قال : وهو علم يعرف رواية الحديث من حيث إنهم رواية للحديث . وأوّل من عرف عنه الاشتغال بهذا العلم البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، ويوجد أيضاً في طبقات ابن سعد (٢٣٠هـ) ، وفي القرن السابع جمع عزّ الدين ابن الأثير (٦٣٠هـ) في أسد الغابة في معرفة الصحابة ، وفيه أخطاء إذ ضمّنه من ليسوا من الصحابة ، وجاء بعده ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) فألّف الإصابة في تمييز الصحابة ، وقد اختصره السيوطي (ت ٩١١هـ) بعين الإصابة . وهذا ما ذكره الشيخ صبحي الصالح فقط ، ينظر : علوم الحديث ومصطلحه : ١٠٩ ، وينظر : تدريب الراوي في شرح تقريب النوروي

وتعديلهم أحد مفردات علم الرجال المتمثلة بدراسة أحوال الرواة من جميع الأحوال، لا بل يعدّ من أهمّ المفردات، لأنّه يدلّ على الحكم على الرواة بدرجة قطعية بعد جمع الأدلّة بوثاقة أو ضعف الراوي. وعلى ما يبدو فإنّ علم الجرح والتعديل هو فرع مكملّ لمهمة أو وظيفة علم الرجال أو أداة من أدوات الرجاليين، والدليل على ذلك احتواء أغلب كتب الرجال على ألفاظ الجرح والتعديل، ويشار أحياناً إلى بعض التأليفات الرجالية ضمن تأليفات الجرح والتعديل، ولاسيّما عند مدرسة الجمهور. كما إنّهُ عند البحث في نشأة علم الرجال أو أهمّ من عمل فيه من الصحابة أو غيرها من محطات العلم لا نرى أيّ فرز بين العِلّمين، بل إنّهم يتكلّمون بالمعلومات نفسها التي تخصّ علم الرجال.

وعلم الجرح والتعديل هو: «علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة لا عن طريق تلك الألفاظ»^(١)، وهذه الألفاظ نفسها التي يستخدمها مصنّفو الرجال لكن قد يزدون عليها بعض الأحكام الاجتهادية التي تصاغ بألفاظ خاصّة بهم - أي بالمصنّفين - وقد ينفرد كلّ رجالي بألفاظ معيّنة^(٢).

ولعلّ قول ابن أبي حاتم الرازي الفيصل فيما ورد، إذ قال: «ولمّا كان الدين هو الذي جاءنا من عند الله عزّ وجلّ وعن رسول الله ﷺ بنقل الرواة

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٥٨٢/١١. وعرفه آخر بقوله: «علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة وعن مراتب تلك الألفاظ، وهو فرع من فروع علم رجال الحديث»، ينظر: أبجد العلوم والوشى المرقوم في بيان أحوال العلوم ٢١١/٢.

(٢) ينظر: خلاصة العلامة، ورجال ابن داود.

حقّ علينا معرفتهم ووجب الفحص عن الناقله والبحث عن أحوالهم وإثبات الذين عرفانهم بشرائط العدالة والتثبت في الرواية ممّا يقتضيه حكم العدالة في نقل الحديث وروايته، بأن يكونوا أمناء في أنفسهم علماء بدينهم أهل ورع وتقوى وحفظ للحديث وإتقان به وتثبيت فيه، وأن يكونوا أهل تمييز وتحصيل لا يشوبهم كثير من الغفلات ولا غلب عليهم الأوهام فيما قد حفظوه ووعوه»^(١).

وعلى ما يبدو فإنّ كلام ابن أبي حاتم يدلّ دلالة واضحة على تداخل خنادق المعرفة والمهّام بين علمي الرجال والجرح والتعديل، وعليه سوف أفرد فصلاً خاصاً بألفاظ الجرح والتعديل لأهمّيتها ولكونها تشكّل جزءاً مهمّاً من أحكام الرجالين بحقّ الرواة، فضلاً عن التصاقها بكتب الرجال وعلم الرجال.

مركز تحقيقات قاموس علوم إسلامي

علم الرجال بين الحاجة إليه وعدمها :

لقد طال الحوار حول الحاجة إلى علم الرجال وعدمها، فمن قائل بتوقّف الاستنباط عليه - وإنّ رحاه تدور على أمور منها العلم بأحوال الرواة - ولولاه لما تمكّن المستنبط من استخراج كثير من الأحكام من أدلّتها، إلى قائل ينفي الحاجة إليه محتجّاً بوجوه منها قطعية أخبار الكتب الأربعة^(٢) صدوراً، إلى ثالث قال بلزوم الحاجة إليه في غير ما عمل به من مشهور الروايات.

(١) الجرح والتعديل ٥/١ - ٦.

(٢) وهي كتب الصحاح عند الشيعة الإمامية وعددها أربعة: الكافي لمحمّد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، ومن لا يحضره الفقيه لمحمّد بن عليّ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، وكنابي التهذيب والاستبصار لمحمّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ).

واستدل العلماء على الحاجة إلى علم الرجال بوجوه، أهمها: حجة قول الثقة، الرجوع إلى صفات الراوي في الأخبار المتعارضة، وجود الوضّاعين والمدلسين، وجود العامي في أسانيد الروايات، إجماع العلماء على العناية بتأليف هذا العلم وتدوينه من عصر الأئمة عليهم السلام إلى يومنا هذا^(١).

ومن الغريب إنكار بعض المتأخرين الحاجة إلى علم الرجال بتوهم أن كلّ رواية عمل بها المشهور فهي حجة وكلّ رواية لم يعمل بها المشهور ليست بحجة سواء أكان رواها ثقات أم ضعفاء...

فالحاجة إلى علم الرجال باقية بحالها، فإن جملة من المسائل لا طريق لنا إلى معرفة فتاوى المشهور منها لعدم التعرّض لها في كلماتهم، وجملة منها لا شهرة فيها لأحد الطرفين فهما متساويان وإن كان أحدهما أشهر من الآخر، وليست كلّ مسألة فقهية كان أحد القولين أو الأقوال فيها مشهوراً وكان ما يقابله شاذّاً. بل الحال كذلك حتّى لو قلنا بأن صدور الكتب الأربعة قطعي، فإن أدلة الأحكام الشرعية لا تختص بالكتب الأربعة، فنحتاج في تشخيص الحجة من الروايات الموجودة في غيرها عن غير الحجة إلى علم الرجال^(٢).

كما اختلف العلماء في شأن الرجوع إلى كتب الرجال وأحكامها في

(١) بحوث في مباني علم الرجال: ١٥ - ٣٥؛ الترابي والرهاني، عليّ يحيى أكبر والشيخ يحيى، الموسوعة الرجالية الميسرة أو معجم رجال الوسائل، تحت إشراف آية الله جعفر سبحاني، ومراجعة السيّد محمود البغدادي، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ١٢/٥ - ١٢.

(٢) معجم رجال الحديث وطبقات الرواة ١٦/١.

أمر تمييز أن هذا ثقة وذاك ضعيف هل هو قضية ضرورية يحتاج الفقيه إليها حاجة ماسة أو أن ذلك قضية يمكن الاستغناء عنها.

اختار بعض العلماء عدم الحاجة إلى علم الرجال ، بل لربما مال بعضهم الآخر إلى تحريمه بدعوى أن فيه كشفاً عن عورات المؤمنين من قبيل أن هذا ضعيف لا يؤخذ بحديثه وذاك كذاب ... إلخ .

ويمكن ربط هذا الاختلاف في الحاجة إلى علم الرجال وعدمها بالأقوال المتقدمة ، فإذا بني منها على أن الخبر إذا عمل به المشهور فهو ثقة حتى ولو لم يكن رواه ثقات فلا حاجة بنا إلى علم الرجال ، إذ المدار على عمل المشهور وليس على وثاقة الراوي ليحتاج إلى تشخيص الوثاقة . كما أن الحاجة إلى علم الرجال تضعف وإن لم تنعدم بشكل كلي فيما إذا بني على انجبار ضعف السند بعمل المشهور ، فإذا بني على هذا الرأي لا تبقى حاجة إلى البحث عن وثاقة الرواة ما دمت قد فرضنا المشهور بالرواية . وحيث إن الصحيح عندنا مما تقدم هو حجّة خبر الثقة وعدم كفاية الانجبار إذا لم يبلغ إلى مستوى المورث للاطمئنان بالصدق فتكون الحاجة إلى علم الرجال ثابتة وبشكل ماس^(١) .

وهناك من ذهب إلى عدم الحاجة إلى هذا العلم ، فمنهم من التزم حجّة الخبر الموثوق والمراد به أن يحصل الوثوق بصدوره حتى لو كان المخبر غير ثقة فالمدار ليس وثاقة الراوي وعدمه ، ومنهم من قال بحجّة الأخبار الواردة في الكتب الأربعة لأنها قطعية الصدور كما صرح الأخباريون وبعض العلماء وعليه لا حاجة إلى علم الرجال طالما أن جميع هذه الأخبار

(١) القواعد الرجالية ١١/٢ ، منتهى المقال في الدراية والرجال : ١٣٩ .

حجة ، ومنهم من ذهب إلى حجة ما عمل به المشهور وإن كان المخبر عنه ثقة وضعف ما أعرض عنه المشهور وإن كان المخبر عنه ثقة ، ومنهم من قال بالحجة مطلق الظن لاعتماده على دليل الإسناد فيكون مؤدّي هذا الدليل هو حجة الخبر الواحد مطلقاً سواء كان المخبر ثقة أم لا لأنه من مصاديق الظن ومعه لا حاجة إلى علم الرجال^(١) .

معالم ومناهج علم الرجال :

إن علم الرجال من العلوم التي اختصت بدراسة صفات الرواة من حيث قبولهم أو عدمه التي لها دخل في قبول رواياتهم أو ردها ، وبهذا فإن أساس هذا العلم هو رواية الحديث والوقوف على أحوالهم ، ولتوسّع هذا العلم فضلاً عن أهميته ظهرت الكثير من المناهج في التصنيف به ، علماً أن هذه المناهج على الرغم من الفرق الكبير بين آلياتها إلا أنها تصبّ في هدف واحد هو دراسة أحوال الرواة وهو غاية علم الرجال ، إلا أن القائمين على هذا العلم يجب أن يتصفوا بصفات تؤهلهم للخوض في غماره ، وذلك لأهمية هذا العلم وعلاقته بعلوم من أجلها ما يتعلق بالأحاديث النبوية .

شروط الراوي :

يتناول هذا العنوان الشرائط المعتبرة في الراوي حتى تقبل روايته ، وهو من الأمور المهمة لتوقّف الاستنباط ومعرفة الحلال والحرام عليه ، ولهذا السبب جاز الكشف عن حال الرجال وأنهم مذمومون أو ممدوحون

(١) منتهى المقال في الدراية والرجال : ١٣٤ - ١٣٥ .

ولا يلزم فيه هتك ستر ولا جرح محرم ، فقد قيل لبعض العلماء : أما تخشني أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماؤك عند الله يوم القيامة؟ فقال : لئن يكونوا خصمائي أحب إلي من أن يكون رسول الله ﷺ خصمي ويقول لي : لم لم تذب الكذب عن حديثي^(١) .

وهذه الشروط هي :

١ - الإسلام : واشترطه هو المشهور بين المحدثين والفقهاء ، بل عليه دعوى الإجماع^(٢) ، إذ عبّر الشهيد الثاني عن ذلك بقوله : «اتفق أئمة الحديث والأصول الفقهية على اشتراط إسلام الراوي»^(٣) ، وقال الشيخ ابن عبد الصمد العاملي : «أجمع جماهير الفقهاء والمحدثين على اشتراط كونه مسلماً بالغاً»^(٤) .

٢ - الإيمان : أي يكون الراوي إمامياً ، إذ استدلل العلماء بأن غير المؤمن فاسق ، وإنه لا مساواة بين المؤمن والفاسق ، وجوز بعض العلماء العمل بخبر المخالف إذا روى عن أنتمنا ﷺ بشرط عدم التعارض مع رواية شيعية ، كما دلت الأخبار على حجّة خبر الثقة ولم تقيده بالإيمان^(٥) ، كقول الحسن بن علي بن يقطين لأبي الحسن عليه السلام : «أفيونس بن عبد الرحمن ثقة أخذ عنه ما أحتاج إليه من معالم ديني؟ فقال : نعم»^(٦) .

(١) الرعاية : ١٧٥ .

(٢) فائق المقال في الحديث والرجال : ٣٠ .

(٣) الرعاية : ١٧٥ .

(٤) وصول الأخبار : ١٨٧ ؛ ينظر : معجم مصطلحات الرجال والدراية : ١٩ .

(٥) فائق المقال في الحديث والرجال : ٣٠ .

(٦) اختيار رجال الكشي : ٤٠٤ .

٣ - العقل : وهذا الشرط محلّ اتفاق ، لأنّ المجنون لا عبرة بقوله لأنّه غير مميّز فلا يقصد ما يقول^(١) .

٤ - البلوغ : إنّ الأخذ من غير المميّز فيه إشكال ، أمّا المميّز فذهب قسم من العلماء بعدم جواز نقل خبره ، وذهب آخرون إلى صحّته وجواز نقله^(٢) .

٥ - العدالة : هي عبارة عن ملازمة ترك المحرّمات وفعل الواجبات . أمّا اشتراط العدالة فهو اختيار جمع من الأصحاب منهم المحقّق الحلّي والعلامة الحلّي وصاحب المعالم^(٣) ، وذهب جمع من العلماء إلى عدم اشتراطها بل اكتفوا بالوثاقة^(٤) .

٦ - الضبط : والمراد أن يكون متيقّظاً إنّ حدّث من حفظه وضابطاً لكتابه إنّ حدّث منه كما عبّر الشيخ ابن عبد الصمد العاملي^(٥) ، وكذلك الشهيد الثاني حيث قال : «بمعنى كونه حافِظاً له متيقّظاً غير مغفّل عمّا حفظه

(١) منتهى المقال في الدراية والرجال : ٨٦ ، معجم مصطلحات الرجال والدراية : ١٠٤ .

(٢) ينظر : وصول الأخبار : ١٧٨ ، منتهى المقال في الدراية والرجال : ٨٦ ، ولم تقبل تزكية الصبي المراهق والفلام الضابط ، ينظر : الكفاية في علم الرواية : ١٢١ وما بعدها .

(٣) منتهى المقال في الدراية والرجال : ٣١ . وقد اشترط علماء الجمهور مؤكّدين ضرورة اتصاف المزكي بجملة شروط منها العدالة ، إذ قال أحدهم : «ولابدّ للمزكي أن يكون عدلاً» ، ينظر : فواتح الرحموت في شرح مسلم الثبوت ، مطبوع ببذل المستصفى للغزالي ١٥٤/٢ ، وينظر : مباحث في علم الجرح والتعديل : ١٣٧ ، ضوابط الجرح والتعديل : ٣٧ .

(٤) فائق المقال في الحديث والرجال : ٣١ .

(٥) وصول الأخبار : ١٨٧ .

حافظاً له من الغلط والتصحيح والتحريف إن حَدَّثَ منه عارفاً بما يختل به المعنى إن روى به»^(١). والضبط كون الراوي حافظاً فطناً واعياً متحرراً عن التحريف والغلط، فإن من لا ضبط له قد يغلب عليه السهو في كيفية النقل ونحوها^(٢).

وهناك أمور لا تشترط في الراوي وهي كالآتي:

- الذكورة: فتصح رواية المرأة، وهذا مما لا خلاف فيه^(٣).

(١) الرعاية : ١٨٥ .

(٢) فائق المقال في الحديث والرجال : ٣١. وقد اشترط علماء الجمهور شروطاً يجب أن يتحلّى بها الرجالي، منها على نحو الإجمال أن يكون يقظاً متنبّهاً لا يخلط بين أحكامه ولا تشبه عليه الأمور عارفاً بأحكام الجرح والتعديل بعيداً عن الهوى والعصية، فلا يجرح لحقد أو عداوة أو لمذهب أو لحسد أو لمنافسة أو نحو ذلك، فضلاً عن الورع والتقوى. وتحدّث علماء الجمهور بذلك، وسوف نسوق قسماً من أقوال هؤلاء العلماء التي تحمل مضامين هذه الشروط، وهي كالآتي: قال أحدهم: «يشترط في المتعدّل العلم والتقوى والورع والصدق والتجنّب عن التعصّب»، ينظر: الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: ٥٢. وقال آخر: «والكلام في الرجال يحتاج إلى ورع تامّ وبراءة من الهوى» ينظر: المتكلمون في الرجال: ١٣٠، وينظر: ابن الصلاح، أبو عمر الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ)، المقدّمة: ١٢٨، فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث ٢٣٠/١. وقيل: «وينبغي أن لا يقبل الجرح إلّا من عدل متيقّظ»، ينظر: نزّهة النظر بشرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: ١٣٧. وقال آخر: «والجرح لا يقبل إلّا من عرف بأسبابه»، ينظر: شرح صحيح مسلم ١٢٥/١، وينظر: جمع الجوامع ١٢/٢. وقيل أيضاً: «وبكلّ حال كلام الأقران بعضهم في بعض يحتمل وطيه أولى من نبشه إلّا أن يتفق المعاصرون على جرح شيخ فيعتمد قولهم»، ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٣٢/١١، وينظر: النعمة، دراسة في مصطلح الحديث: ٥١.

(٣) فائق المقال في الحديث والرجال: ٣٢، منتهى المقال في الدراية والرجال: ٩٢. ولا يشترط بالنّاقد أن يكون ذكراً، فقد أجازوا تعديل المرأة وتجريحها إذا استوفت الشروط، ينظر: الكفاية في علم الدراية: ١٢١ وما بعدها.

- الحرّية: فتصحّ رواية العبد لعدم خصوصية الحرّية في قبول الخبر^(١).

- العلم بالفقه واللغة العربية، لأنّ المقصود الرواية لا الدراية كما عبّر الشيخ ابن عبد الصمد العاملي^(٢) والشهيد الثاني^(٣). وهناك من قال بوجوب معرفة اللغة العربية للرواة حذراً من اللحن والتصحيف^(٤).
- البصر^(٥).

مناهج التأليف في الرجال :

اعتمد الرجاليون في تصنيفاتهم على مناهج وأساليب وطرائق علمية في البحث الرجالي، وأهمّ هذه المناهج:

المنهج الأول: المنهج التحليلي :

ويقوم على جمع كلمات الرجالين حول المفردة وهي بمنزلة الفتاوى الرجالية، وتعيين طبقة الراوي من حيث الراوين عنه والراوي هو عنهم بغية معرفة البيئة العلمية والوسط الذي كان يعيش فيه، وملاحظة مضامين ما يرويه والأبواب التي يكثر الرواية فيها فإنّها تعكس المستوى

(١) فائق المقال في الحديث والرجال : ٣٤، منتهى المقال في الدراية والرجال : ٩٢.
وقد أجاز العلماء تعديل العبد وتجريحه بعد أن تثبت له شروط المعدّل والمجرّح،
ينظر: الكفاية في علم الرواية : ١٢١ وما بعدها.

(٢) وصول الأخبار : ١٣٨.

(٣) الرعاية : ١٨٦.

(٤) فائق المقال في الحديث والرجال : ٣٢.

(٥) منتهى المقال في الدراية والرجال : ٩٢.

العلمي للراوي ، ومعرفة نتاجه العلمي من الكتب المؤلفة وتلقّي الأصحاب لها، ثمّ مراجعة كتب التراجم كتاريخ بغداد للخطيب وتاريخ دمشق لابن عساكر وغيرها، ثمّ استقصاء سائر المصادر الرجالية الأخرى لدى الأصحاب، ثمّ عمل سلسلة من التحليلات حول المفردة من خلال ضبط ومقارنة التاريخ الذي عاش فيه والانتماء المدرسي سواء في المدارس الفقهية داخل الطائفة أو الكلامية أو التفسيرية وغيرها، وهو منهج يعتمد عليه الباحث التاريخي أيضاً.

المنهج الثاني : نظرية الطبقات :

وهو تحرّي معرفة طبقة الراوي عن طريق الراوي عنه والمروي عنه، ثمّ تشخيص المدة الزمنية التي بدأ فيها بتحمّل الرواية، كما يشخص بذلك مدة بروزه كنجم في تاريخ الرواية والتحديث وانتهاء إلى آخر مدة عاش فيها، وتشخيص ذلك يؤدّي إلى معرفة عدّة جهات في شخصية الراوي، منها حقيقة عمر الراوي، والمكان الذي عاش فيه، وأساتذته وشيوخه، وتلاميذه والرواة عنه، وانتماءاته إلى المدارس العلمية، وتمييز المفردات المشتركة مع الراوي في الإسم، وهو من المسائل المهمّة جداً في علم رجال الحديث، ويغلب هذا المنهج على معجم الرجال للسيد الخوئي رحمته الله ^(١).

المنهج الثالث : تجريد الأسانيد :

وهو المقابلة بين الطرق الموجودة في الكتب الروائية مع غرض النظر

(١) بحوث في مباني علم الرجال : ١٧٢ - ١٧٥.

المنهج التاريخي في كتابي ابن المطهر وابن داود ١٦١

عن المتن ، وتتمّ المقابلة بالترتيب حسب إعجام الإسم أو بحسب الكتاب المستخرج منه أو الأصل ، وبهذه المقابلة يتمّ كشف بعض الوسائط الساقطة أو اختلاف النسخ واشتباهاها ، كما يتمّ به كشف المشتركات ، وهو يعطي فوائد أيضاً ، كمعرفة أسماء الراوي المتعدّدة وألقابه وكناه وتلاميذه الراوين عنه ومن يكثر منهم ومن يقلّ ، ومعرفة عمر الراوي وأسفاره وتنقلاته في المواطن العلمية ، كما يظهر مرتبته العلمية . واعتمد السيّد البروجردي على هذا المنهج في كتابه تجريد الأسانيد في الكتب الأربعة^(١) .

المنهج الرابع : النصوص الرجالية :

ويعتمد فيه على الاختصار على أقوال الرجالين المتقدمين كالأصول الخمسة ، وقد يلحق بهم أقوال المتأخرين كخلاصة العلامة ورجال ابن داود ، وقد يضيف إليهم أقوال متأخري المتأخرين ممّن له الريادة في التحقيقات الرجالية ، ومن الكتب الرجالية المؤلفة على هذا النمط كتاب خلاصة الأقوال للعلامة الحلّي ، ورجال ابن داود ، ومجمع الرجال للقهبائي ، ونقد الرجال للتفرشي^(٢) .

المنهج الخامس : تراجم البيوتات والأسر الروائية :

وقد اعتمد على هذا المنهج في مصنفات العديد من الرجالين ، كما صنّف أبو غالب الزراري في آل زرارة بن أعين ، وبعض آخر عن آل النجاشي ، وآخر في النوبختية ، وقد وضع العلامة بحر العلوم كتابه في

(١) بحوث في مباني علم الرجال : ١٧٩ .

(٢) بحوث في مباني علم الرجال : ١٧٩ - ١٨٠ .

الرجال على هذا المنهج، حيث ترجم لكثير من البيوتات الشيعية. ويمتاز هذا المنهج بتسليط الضوء على الراوي من جهة التربية الأسرية وقراءة ترجمة المفردة من جهة التنشئة التي نشأ فيها والمهد الذي ترعرع فيه المؤثر في انطباع سلوكه به. ويكفي أن يعدّ ما ألف في نسب الطالبين من مؤلفات عديدة في هذا القبيل، مثل **مقاتل الطالبين** لأبي الفرج الأصفهاني وغيره، بل إنّ هناك تأليفات تاريخية في القبائل ووطنها وأفخاذها^(١).

المنهج السادس: تاريخ المدن:

يقوم على ترجمة كلّ من دخل المدينة أو سكن فيها وأقام ممّن وقع في سلسلة الرواة أو كان له شأن في الوقائع التاريخية، ويتحرّى في هذا المنهج التطرّق لذكر الوقائع التي جرت لصاحب الترجمة في تلك المدينة وسلسلة رواة تلك المدينة الراوين عنه، كما يذكر هذا المنهج الروايات التي تبدأ طرقها من الرواة والمنتسبين إلى تلك المدينة. وبعبارة أخرى: إنّ هذا المنهج يركّز على الحواضر العلمية والروائية وغيرها التي نشأت في تلك المدينة والرواة الذين فيها ممّن قد لا توجد تراجمهم لدى أرباب التراجم والكتب الرجالية بسبب كون مؤلفيها يقطنون في حواضر علمية ومدن أخرى لم يكن بينهم صلات علمية حديثة، ومن أمثلة هذا المنهج تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وابن عساكر في تاريخه، وابن شبة في تاريخ المدينة، والأزرقي في تاريخ مكة^(٢).

(١) بحوث في مباني علم الرجال: ١٨١.

(٢) بحوث في مباني علم الرجال: ١٨١ - ١٨٣.

المنهج السابع : المنهج الروائي :

ويعتمد فيه على خصوص الروايات الواردة لمضمون مدح أو قذح أو ما يلزمها حول الترجمة ، وقد اعتمد على هذا المنهج كثيراً الشيخ الكشي في رجاله ، حيث ذكر في كل ترجمة الروايات الواردة حولها ، وقد استدرك عليه بعضهم في كتبهم الرجالية إلى عصرنا هذا كثيراً من الروايات ، وهذا المنهج يوضح المنزلة العلمية للراوي ودرجة أمانته لدى الإمام عليه السلام ومرتبة وثاقته .

المنهج الثامن : أصحاب كل إمام :

ويعتمد فيه على ذكر أصحاب كل إمام الشيوخ منهم والمتوسطين والأحداث ، وقد يشترك بعض الرواة في صحبة أكثر من إمام ، وبهذا يمتاز هذا المنهج عن منهج الطبقات الذي سبق ، وقد اعتمده الشيخ الطوسي في رجاله ، كما ألف فيه الرجالي الكبير ابن عقدة كتاباً في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ، وقد ألف على هذا المنوال العديد من الكتب ولاسيما في العصر المتأخرة ، كما ألف في صحابة النبي ﷺ كثيراً كالإصابة في معرفة الصحابة لابن الأثير وأسد الغابة في معرفة الصحابة وطبقات ابن سعد وغيرها^(١) .

المنهج التاسع : الفهرست وتراجم الكتب :

وهو من أقدم مناهج التصنيف في علم الرجال ، ويعتمد على ذكر

(١) بحوث في مباني علم الرجال : ١٨٤ .

الكتب التي ألفها الفرد المترجم ومن روى تلك الكتب عنه والطرق إلى تلك الكتب مع ترجمة مختصرة لكل كتاب ومدى شهرتها واعتماد الطائفة عليها، وقد تطوّر هذا المنهج إلى ذروته عند المحقّق الكبير والرجالي الشهير آقابزرگ الطهراني، ويمكن ملاحظة ذلك في كتابه الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ويعدّ ابن النديم في فهرسته من الرّواد الذين خاضوا في هذا المضمار^(١).

المنهج العاشر: المشيخة:

وهو يشبه المنهج السابق إلّا أنّه يتميّز عنه في كون المشيخة أسلوباً في التدوين يرفق بكتاب الحديث لتوضيح طرق أصحاب الكتاب إلى الكتب التي استخرج روايات كتابه عنها مقتصرّاً عليها، بخلاف كتب الفهرست فإنّها أعمّ من ذلك وأعمّ من أن يكون مؤلف الفهرست محدثاً وصاحب مدوّنات حديثيّة - كما هو الحال في الشيخ النجاشي - فضلاً عن أنّه في المشيخة يقتصر فقط على ذكر الطرق إلى الكتب التي استخرجت منها الروايات من دون تعريف زائد بأحوال الكتب والنسخ والتعريف بخصوصيات أخرى، وهذا بخلاف كتب الفهرست. ويعدّ أوّل من ألف في المشيخة الراوي الجليل الحسن بن محبوب الزرّاد في كتابه المعروف بالمشيخة، والشيخ منتجب الدين في فهرسته، وابن شهرآشوب في معالم العلماء، وغيرهم^(٢).

(١) بحوث في مباني علم الرجال: ١٨٤ - ١٨٥.

(٢) بحوث في مباني علم الرجال: ١٨٦ - ١٨٧.

المنهج الحادي عشر : منهج الفوائد :

وهو يعتمد على ذكر الفوائد العامة في التوثيق أو الجرح أو المبيّنة لحال الطرق وبيان الاصطلاحات الرجالية ، كما قد يتعرّض إلى الترجمات المنهجية عن بعض المفردات بتقّص وافٍ ، كما وقد يتعرّض إلى فوائد عامة في التوثيق مبتكرة جديدة ، وأيضاً قد يبحث فيها عن أصول علم الرجال . ويعدّ هذا المنهج بمثابة البنية التحتية لمباحث علم الرجال ، ويرى أنّ كلّ كتاب يوضع عند المتأخرين لابدّ أن يشتمل على الفوائد في مقدّمته أو خاتمته ، وهي تعكس مبنى المؤلف في المنهج الرجالي ، وبعض هذه الفوائد توضع مستقلة أو تلحق بكتاب حديث^(١) ، وللاستزادة ينظر^(٢) .

المنهج الثاني عشر : منهج تراجم الأعيان :

وهو يعتمد على ترجمة طبقات علماء الطائفة من ابتداء عصر الغيبتين ، ويكون لهذا المنهج أثر مهم في توثيق سلاسل الطرق في كتب الأصحاب سواء في المجاميع الأربعة الأولى أو الكتب الروائية التي ألفت بعدهم ، كالطرق التي اعتمد عليها الطبرسي في الاحتجاج والطبري في دلائل الإمامة والمسعودي في إثبات الوصية ، وكذلك طرق المحمّدين الثلاثة^(٣) ، ولا يخفى أهميتها لتصحيحها النسخ التي اعتمدوا عليها في استخراج روايات كتبهم . وممن كتب في هذا المنهج : السيّد محمّد باقر الخونساري

(١) مباني علم الرجال : ١٨٤ - ١٨٧ .

(٢) الفوائد الرضوية في أحوال علماء مذهب الإمامية ، (طهران ، د.ت) .

(٣) هم : الشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ) والشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) أصحاب الكتب الحديثية الأربعة ، وهي تعدّ بمثابة الصحاح عند الشيعة الإمامية .

في **روضات الجنّات**، والسيد محسن الأمين العاملي في **أعيان الشيعة**، وآقا بزرك الطهراني في كتابه المعروف **طبقات أعلام الشيعة**، والعلامة الشيخ عبد الحسين الأمين في **شهداء الفضيلة**، والمحدث القمي في **الكنى والألقاب**، وغيرهم^(١).

المنهج الثالث عشر: منهج الإجازات:

وهو يتعرّض لسلاسل الإجازة في الرواية لطبقات المشايخ، وكذلك إجازة رواية الكتب، وهي أعمّ من كونها كتب حديث أو من علوم وفنون أخرى، وهذا المنهج وإن كان أحد أبواب علم الدراية إلا أنه يتبع علم الرجال لما فيه من الفوائد والثمرات الرجالية، وقد كتب فيه العديد من العلماء، فترى في كلّ قرن وطبقة من وضع رسائل وكتباً في ذلك، مثل إجازتي العلامة الحلبي لفتي زهرة الطويلة والقصيرة، وإجازات الشهيد الثاني لتلاميذه، وإجازات العلامة المجلسي. وهذا المنهج يقرب من المنهج السابق مورداً وفائدة إلا أنه يختلف عنه في الحثية والجهة، إذ هو يقتصر على من وقع في سلسلة الإجازة وإن لم يكن من الأعيان بخلاف المنهج السابق فإنه يعمّ من لم يكن من مشايخ الإجازة ولكنه يختص بأعيان العلماء^(٢).

المنهج الرابع عشر: علم الأنساب:

وهو العلم الباحث عن أنساب القبائل وبطونها وأفخاذها ومواطن

(١) بحوث في مباني علم الرجال: ١٨٩ - ١٨٨.

(٢) بحوث في مباني علم الرجال: ١٩٠.

سكانها وأحوالها وصفاتها ومدنها التي عاشت فيها وانتهاء شجراتها إلى الأفراد، وحيث إنّ النسب النبوي والعلوي قد اختصّ ببالغ الشرف فقد وضعت كتب خاصّة به، فكان دخول علم الأنساب في الكشف عن هوية المفردة هو من الأوليات الضرورية لمعرفة ترجمة المفردة، فكلّما كان الرجالي محيطاً بهذه الكتب كان أقدر على تمييز المشتركات في اللقب أو الكنية أو موطن السكنى وتاريخها وغير ذلك ممّا له دخل في هوية المفردة الرجالية، وقد كان الشيخ النجاشي يتميّز بالاهتمام بهذا العلم.

وهذا العلم في بداية نشوئه مدرج في كتب التاريخ تارة وفي كتب اللغة القديمة باعتبار أسماء القبائل تارة أخرى، إلّا أنّه أُلْحِقَ بأحد الأبواب الرجالية، بل انتهى الأمر إلى جعله علماً برأسه. وعلى كلّ حال فإنّ فائدته تصبّ في علم الرجال بنحو بالغ الأهمية وإن استفيد منه في علوم أخرى^(١).

الأخطاء والأوهام التي يقع فيها مصنّفو الرجال :

نظراً إلى صعوبة علم الرجال لتناوله الرواة وتحركاتهم ورصدهم والحكم عليهم بالجرح والتعديل كان لابدّ من تعرّض مصنّفيه إلى جملة من الأخطاء والأوهام، وهي كالآتي :

١ - الخلط بين الرواة الذين اتفقت أسماؤهم أو أنسابهم أو ألقابهم أو كناههم، مثل عليّ بن أبي حمزة الشمالي وعليّ بن أبي حمزة البطائني، فقد أشار العلامة إلى أنّهما ليسا واحداً^(٢).

(١) بحوث في مباني علم الرجال : ١٩١ .

(٢) خلاصة الأقوال : ١٨١ .

٢ - الوهم في جعل الراوي الواحد رجلين أو أكثر ، أو العكس بجعل الرواة المتعددين رجلاً واحداً ، مثل قول العلامة : «أحمد بن محمد أبو غالب الزراري»^(١) و«أحمد بن محمد أبو غالب الزراري»^(٢) ، وفي مثال آخر «سيف بن عميرة»^(٣) و«سيف بن عميرة»^(٤) ، أما ما يخص جعل الرواة واحداً فمثل : بكر بن محمد الأزدي وبكر بن محمد بن أخي سدير الصيرفي^(٥) .

٣ - الوهم في تاريخ ولادة الراوي أو تاريخ وفاته عند المصنفين ، وهو مشهور ، مثل : «... كان مولده يوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٣٣٦هـ ، وقيل : سنة ٣٣٨هـ»^(٦) ، ومثال آخر : «... فمات في جمادي الأولى سنة ٣٠٥هـ ، وقيل : سنة ٣٠٤هـ...»^(٧) .

٤ - ذكر الراوي في غير بلده . وقد جرت العادة عند المصنفين على نسبة الراوي إلى البلدان التي رحل إليها حسب القدم ، يقال : فلان المكي المدني الكوفي الشامي ، أي مسار حياته ، فإنه مكي المولد شامي الوفاة . ومثال ذلك ما جاء في الخلاصة في بعض الرواة : «... أصله كوفي وانتقل إلى أصفهان...»^(٨) ، فيعتبر عنه بالكوفي الأصفهاني . أو : «... أبو محمد

(١) إيضاح الاشتباه : ٩٦ .

(٢) إيضاح الاشتباه : ١٠١ .

(٣) إيضاح الاشتباه : ١٩٤ .

(٤) إيضاح الاشتباه : ١٩٨ .

(٥) انظر اختيار معرفة رجال الكشي : ٥٩٢ ، ورجال ابن داود : ٥٨ .

(٦) خلاصة الأقوال : ٢٤٨ .

(٧) خلاصة الأقوال : ٢٥١ .

(٨) خلاصة الأقوال : ٤٩ .

البوفكي، وبوفك قرية من قرى نيسابور...»^(١).

٥ - إغفال المصنّفين ذكر بعض الأعلام والمشاهير من الرواة والعلماء، ومثال ذلك عدم ترجمة العلامة الحلّي^(٢) لابن داود الحلّي علي الرغم من معاصرته له - وابن داود من العلماء البارزين الذين لهم تصانيف كثيرة ومتشعبة - وعلى الرغم من أن ابن داود ترجم للعلامة الحلّي في رجاله^(٣). ومن الأمثلة الأخرى عدم ترجمة العلامة الحلّي^(٤) وابن داود الحلّي^(٥) للشيخ محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨هـ)، وفضله أكبر من أن ينكر، فهو صاحب كتاب الرجال: معالم العلماء، فضلاً عن اعتمادهما - أعني الحلّيين - عليه في استقاء معلوماتهما حول الرواة في كتبهما الرجالية.

أهم الصعوبات التي تواجه مصنّفي الرجال:

١ - عدم توافر المعلومات التاريخية الكافية عن الراوي المترجم له، إذ إن قلة المعلومات المتوافرة للمصنّف عن الراوي تجعله في إشكالات كثيرة تحرمه من المقدرة على وضع حدود واضحة المعالم للترجمة وتبقى الترجمة قاصرة، وتعود أسباب صعوبة وجود المعلومات التاريخية إلى كثرة الترحال في طلب العلم، مثال ذلك ما جاء في الخلاصة في حق بعض

(١) خلاصة الأقوال : ٢٢٧ .

(٢) ينظر : خلاصة الأقوال وإيضاح الاشتباه ، (باب الحاء) .

(٣) ينظر رجال ابن داود : ٧٨ .

(٤) ينظر : خلاصة الأقوال وإيضاح الاشتباه (باب الميم) .

(٥) ينظر : رجال ابن داود (فصل الميم) .

الرواة: «... كان ينزل ببني شيان بالكوفة، وانتقل إلى بغداد سنة تسع وتسعين ومائة، ويقال: إن في هذه السنة مات، ومولده كان بالكوفة ومنشأه واسط وتجارته ببغداد ثم انتقل إليها في آخر عمره ونزل قصر وضاح...»^(١).

٢ - رحلة الراوي إلى بلد غير مشهور بالعلم فيموت فيه أو يندر من يروي عنه في ذلك البلد، بما أن الترحال ديدن الرواة فأحياناً يصلون إلى بلدان غير مشهورة بالعلم، وأحياناً يكون ذهابهم هناك لأسباب سياسية، مثل ما حصل مع الكثيرين منهم: كسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) الذي كان يحزن لعدم سؤاله من أهل فارس عندما هرب إليهم على إثر طلب الحجاج له^(٢).

٣ - التضارب في الأقوال المنقولة والأخبار المدونة عن الراوي المترجم له وصعوبة الترجيح بينهما أو صعوبة الجمع بينهما على الرغم من وجود معايير مفاضلة عند النقاد وذلك بالاعتماد على المصنف والمصدر لكونه أقرب إلى الحدث التاريخي، وهذا التفاوت في الروايات المنقولة إما أن يكون تناقضاً في الأقوال كأن يقول: فلان قتل، ورواية تقول: فلان مات، أو يكون الاختلاف ناتجاً عن تعدد الروايات كأن يقول: مات سنة كذا أو قتل سنة كذا... إلخ^(٣).

(١) خلاصة الأقوال: ٢٨٨.

(٢) ينظر: الحاج جاسم، سامي حمود، سعيد بن جبير - دراسة تاريخية - رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد، غير منشورة: ٧٩ - ٩٢.

(٣) ينظر: خلاصة الأقوال: ١٥٦، ٢٤٨.

أهمية التصنيف في الرجال :

يمكن إجمال بيان أهمية تصنيف الكتب الرجالية بالنقاط الآتية :

١ - إن كتب الرجال تعكس تراث الأمة وعمق حضارتها ونتائجها

الفكري والعلمي عبر التسلسل الزمني والتاريخي حتى عصر المؤلف .

٢ - إن كتب الرجال تبين تطوّر العلوم بفروعها المتنوعة من خلال

الترجمة للرواة والإشارة إلى زيادة بعضهم في وضع قسم من العلوم أو

إضافة أحد الرواة (العلماء) إضافات نوعية على علم معين .

٣ - رصد الحركة العلمية في كلّ عصر ومصر أو جيل من خلال

الترجمة للرواة والعلماء من الرواة في عصر معين أو مصر معين .

٤ - تقويم العلماء المتخصصين من خلال جهودهم العلمية في

مؤلفاتهم ونتائجهم العلمي ، كما يسهم ذلك في حفظ حقوق هؤلاء العلماء

في مؤلفاتهم وعدم سرقة المنتحلين لها .

٥ - يحفظ للأمة أنسابها ويؤرخ أصالتها وذلك من خلال الإشارات

النسبية عند الترجمة للرواة ، وبذلك تعدّ مصدراً لعلم الأنساب .

٦ - تساعد القارئ على الحصول على معلوماته بسهولة ولاسيما ما

يخصّ التراجم والسير والأحداث التاريخية المتعلقة ببعض المترجم لهم

فضلاً عن وثاقة الراوي المترجم له أو عدمها .

٧ - إن كثيراً من مصنفي الرجال حرصوا في كتبهم على تثبيت تراجم

النابعين من العلماء وقادة الفكر ومن كان لهم أثر مميز في نشر الحركة

العلمية والتأليف أو من كان لهم أثر في عصرهم في اتجاه ما ، بل أفرد

المصنفون كتباً مخصصة للضعفاء والمتروكين والمدلسين والوضّاعين ممّا

يسهل الرجوع والحكم على المترجم لهم .

٨ - إنَّ قسماً من كتب الرجال تتعرَّض ضمناً إلى الأخوة والأخوات والآباء والذرائع عندما يترجم لأحد الرواة، وهذا يفيد في معرفة الأخوة والأخوات والعلاقات العائلية للرواة^(١).

٩ - قد يشير قسم من مصنَّفي الرجال لأحد الرواة بصورة مختصرة جداً^(٢)، أو بصورة موسَّعة يذكر أخبارهم الشخصية والعائلية ومذاهبهم^(٣).

١٠ - تضمَّنت كتب الرجال الكثير من الحكم والأقوال والأشعار والزهد والعلوم والفتاوى الخاصَّة بالرواة ولاسيَّما الصحابة والتابعين، وقد تذكر ضمناً عند الترجمة للرواة.

١١ - تعرف حركة الرواة - ولاسيَّما الصحابة والتابعين - بين الأمصار وهجرتهم.

١٢ - الكشف عن وثاقة رجال الإسناد وتمييز الأسانيد ومعرفة الرجال المذكورين في السند والمرويات.

١٣ - الكشف عن الخطأ في الإسناد من التصحيف والتحريف في أسماء رجال السند.

١٤ - الكشف والتمييز في الرواة المتشابهة أسماؤهم، وقد صنَّف في هذا المضممار تصنيفات كثيرة تميِّز الرواة المتشابهة أسماؤهم وألقابهم وكناهم.

١٥ - معرفة أنَّ الراوي شخص واحد أو أكثر وإن ذكر بأسماء أو كنى

(١) ينظر: خلاصة الأقوال: ٨٦، ٩٦، ١٢٥، ١٤١، ١١٦، ٢١٦، وإيضاح الاشتباه: ١٤٧، ورجال ابن داود: ٥٧.

(٢) ينظر: خلاصة الأقوال: ١٣٣، وإيضاح الاشتباه: ١٠٠، ورجال ابن داود: ٨٩.

(٣) ينظر: خلاصة الأقوال: ١٠٩ - ١١٣، وإيضاح الاشتباه: ٢٩١.

المنهج التاريخي في كتابي ابن المطهر وابن داود ١٧٣

واللقاب متعددة في الكتب .

١٦ - تقدير مواليد الرواة ووفياتهم التي لم تدون وتصحيح المدون

خطأ والترجيح فيما اختلف فيه .

وللبحث صلة ...



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامی